طرابلس

تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا

تأليف
ايتوري روسي

ترجمة وتقديم
خليفه محمد التليسي

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

طرابلس

تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا

تأليف
ايتوري روسي

ترجمة وتقديم
خليفه محمد التليسي

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى

1969م

الطبعة الثانية

1394و.ر ـ 1985م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

ص.ب 959 مبرق 20235 نيتليبيا

المقدّمة

لسنا في حاجة إلى التأكيد على أهمية الترجمة للمصادر التاريخية الهامة التي تتناول بعض العهود والفترات الغامضة من تاريخنا .

ولسنا في حاجة إلى التأكيد بأن كثيراً من الباحثين والدارسين الأجانب قد صرفوا الوقت ، وبذلوا الجهد في تقصي هذا التاريخ ، ومتابعة أحداثه ، وإلقاء الأضواء عليه ، وقد عرفت المكتبة التاريخية ألواناً مختلفةً من الدراسات التي تناولت التاريخ الليبي منذ أقدم عهوده حتى عصرنا الحديث ، بالدراسة والتحليل .

ومنذ بدأ أبو التاريخ هردوت كتابة التاريخ ، ظل لليبيا دائماً فصل ومكان في تاريخ هذه المنطقة الهامة من العالم .

وذلك ما يبث فينا الشعور بالحاجة الملحة إلى بذل كثير من الجهد لكتابة تاريخنا حتى نعرف حقيقتنا ، ونكتشف ذاتنا ، ومكاننا عبر العصور ، ونحن في ذلك مضطرون إلى الالتفات إلى ما كتب عنا ، ننقله ،

ونـدرسه ، ونناقشه حتى تتكـوّن لنا من ذلـك حصيلة وافـرة من المعلومـات التي يمكن أن تكون قاعدة نقيم عليها تاريخنا الـذي ينبغي أن نتولى حـوادثه بـالتحليل والـدراسة والتفسير وآستخـراج المعنى والعبـرة منـه ، إذ إن هـذه الدراسات الأجنبية على ما فيها من جهد مبـذول ومتابعـة دقيقة ، تـظل دائماً مفتقرة إلى النظرة المحـايدة والمعـالجة المـوضوعيـة ، وهي كثيراً مـا تحمل عـرضاً لهـذا التاريـخ من وجهة نـظرهم التي اشتركت في تكـوينهـا عـوامـل مختلفـة ، أهمهـا مـواقفهم من الشعب الـذي يؤرخـون لـه ويـدرسـونـه ، وبواعث هذه الـدراسة ، ونـظرتهم الدينيـة أو السياسيـة وخاصـة في الفترات التي تتسم بالصراع الديني والدفاع عن المصالح الاستعمارية .

ولكن نـظرة الآخـر ، على مـا فيهـا من تحيـز وعـداء كثيـراً مـا تكـون وسيلة من وسائل اكتشـاف الذات بـل إن العداء والتحيـز اللذان يظهـران في هـذه الدراسـات يؤكـدان في كثيـر من الحـالات ، إيجـابيـة المـواقف التي يمثلها هذا التاريخ .

وفي التاريخ الليبي فتـرات غامضـة تحتاج إلى الـدراسة وإلقـاء الضوء عليها .

ومن هذه الفترات التي ما تزال غامضة في أذهاننا ، غيـر واضحة لـدى كثيـر من المؤرخين العرب القـدماء ، فتـرة الاحتـلال الأسبـاني وقيـام نـظام فرسان مالطا ، رغم ما لهذه الفترة من أهمية بـارزة بآعتبـارها المنطلق الذي آنـطلقت منه فيمـا بعد مسـاهمة البحـرية الليبيـة في أحـداث البحـر الأبيض المتوسط والدفاع عن الوجود الإسلامي فيه .

لقـد آكتفى المؤرخـون القـدامى في تفسيـرهـا على أسس أسـطوريـة ساذجة ، على نحو ما أورد العياشي في رحلته التي قال فيها :

« وأمـا أخذُ النصـارى لها فـذكروا لـذلك قصـة غريبـة ، وهي أن أهل هذه المدينة ، فيما مضى ، كانوا أهـل دنيا عـريضة فيمـا يقال ، وليس فيهم

غناء ولا لهم بالحرب خبرة ، فبينما هم كذلك قدمت سفن للنصارى ، تجاراً بسلع كثيرة ، فنزلت بالمرسى ، فخرج إليهم رجل من التجار فاشترى منهم جميع ما بأيديهم من السلع ، ونقد لهم ثمنها ثم آستضافهم رجل آخر ، فصنع لهم طعاماً فاخراً فلما فرغوا قدم لهم دلاعاً فطلبوا سكيناً لقطعها فلم توجد في داره سكين ولا عند جاره إلى أن خرجوا للسوق ، فأتوا بسكين ، فلما رجعوا إلى بلدهم سألهم ملكهم عن حال البلد التي قدموا منها ، فقالوا ما رأينا بلداً أكثر منها مالاً ، وأقل سلاحاً وأعجز أهلاً عن مدافعة عدو ، فحكوا له الحكايتين فتأهب ملكهم لدخولها في مراكب البحر فدخلها في ليلة واحدة بلا كبير مشقة ، وآستولى عليها ولم ينج من أهلها إلَّا من تسور ليلاً وآنحاز المسلمون إلى تاجوراء وجبال غريان ومسلاته وصارت المدينة إلى أن كان من أمرها ما كان في التاريخ المذكور » . . .

وقد ردد ابن غلبون ، والنائب ، مثل هذا القول .

أما في العصر الحديث فلا نعرف دراسة عالجت هذه الفترة معالجة علمية تربطها بأحداث العصر سوى رسالة للأستاذ عمر الباروني عن (الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس) عرض فيها هذه الفترة التاريخية من وجهة نظر ليبية إسلامية .

وقد صدرت أخيراً دراسة للأستاذ محمد بازامة بعنوان (ليبيا في عشرين عاماً من حكم الأسبان) ناقش فيها الروايات التاريخية المختلفة المتصلة بهذه الفترة التاريخية كما وردت في المصادر الأجنبية التي اعتمد عليها الأستاذ روسي مؤلف هذا الكتاب.

وقد كان في طليعة الكتب التي اعتمدت عليها هذه الدراسات الحديثة هذا الكتاب الذي نقدمه للأستاذ المستشرق الإيطالي ايتوري روسي Ettore Rossi .

والأستاذ ايتوري روسي من أعلام المستشرقين الإيطاليين ولد سنة

1894 وتوفي سنة 1955 عرف باطلاعه الواسع على تراث اللغتين العربية والتركية ودراسته للأدب العربي ، وقد عمل أستاذاً للأدب العربي في جامعة روما ، ثم مديراً للمعهد الشرقي ومشرفاً على مجلته المعروفة باسم الشرق الحديث (Oriente Moderno) وقد كتب كثيراً من الدراسات الأدبية والتاريخية عن العالم العربي الإسلامي ، ونذكر من دراساته الليبية (الغناء الشعبي في طرابلس) و (طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا) والرسائل المتبادلة بين مرشد فرسان مالطا وبايات طرابلس من 1714 — 1778 التي نشرها بمجلة الدراسات الشرقية ، والزجل العربي في طرابلس ، وهو بحث ألقاه في مؤتمر الدراسات الاستعمارية الذي عقد في فلورنسا سنة 1931 ، وليبيا تحت حكم العرب والبربر والأتراك ، كما ترجم إلى الإيطالية كتاب (التذكار) لابن غلبون وعلق عليه ، وله دراسة لتاريخ طرابلس في عهد الدولة الإسلامية (منشورات الجمعية الإيطالية لترقية العلوم 1937) وأعياد وعادات المسلمين في طرابلس نشرها بحوليات المعهد الشرقي في نابولي، وتاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 .

وله عدة مقالات في دائرة المعارف الإيطالية والإسلامية ، كما كتب عدة دراسات سياسية عن واقع العالم العربي الحديث .

والكتاب على صغر حجمه يعتبر من أهم المراجع عن هذه الفترة وهو يساهم مساهمة كبيرة في إلقاء الضوء على هذه الحقبة التاريخية المجهولة ، ويضعها في إطارها الصحيح من أحداث القرن الخامس عشر والسادس عشر التي كانت تجري في البحر الأبيض المتوسط والصراع بين القوى الإسلامية التي كانت تمثلها في تلك الفترة الامبراطورية العثمانية ، والقوى المسيحية التي كانت تمثلها في ذلك العهد أسبانيا والدويلات المسيحية والبابوية وفرسان القديس يوحنا .

ولا نرى داعياً لاستعراض محتويات هذا الكتاب فهو واضح بمنهجيته وأسلوبه المختصر ، ولكننا نحب أن نلاحظ ما يلي :

1) عدم الأخذ بالتفسير الأسطوري الساذج لاستيلاء الأسبان على طرابلس، ونشعر بأن هذا الاحتلال يدخل ضمن مخطط كان يعطي لطرابلس أهمية خاصة باعتبار دورها وموقعها في البحر الأبيض المتوسط وهو الدور الذي تكشفه وتدل عليه العهود التالية التي ازدهرت فيها البحرية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط . وكان لطرابلس وأسطولها مشاركة واضحة بارزة جعلت القائد الإسلامي الكبير درغوت باشا يتخذ منها مركزاً لنشاطه وجهاده البحري .

2) الدور الهام الذي قام به أسطول الامبراطورية العثمانية في الدفاع عن الوجود الإسلامي في البحر الأبيض المتوسط وهو الدور الذي لا يستطيع أن ينكره أي مؤرخ منصف أو يقلل من أثره في دفع الأخطار التي كانت تهدد هذه المنطقة في وجودها وعقيدتها .

3) يذكر المؤلف أن القراصنة الأتراك كانوا طلائع الامبراطورية العثمانية على سواحل إفريقيا ، ورغم أن المؤلف يحتاط فلا يطلق صفة القرصنة إلاَّ على المرحلة المتقدمة على الظهور الرسمي لأسطول الدولة العثمانية في مياه طرابلس ، ويقصرها على الفترة الأولى التي أزعجت الوجود الأسباني في سواحل إفريقيا وضايقته بما أدى إلى تنازله عنها إلى فرسان مالطا ، وتردد الفرسان في قبولها ، إلاَّ أنه في الواقع ـ وكما تؤكد دائرة المعارف الإيطالية نفسها ـ يصعب في ذلك الزمن التمييز بين القرصنة والجهاد بالنسبة للطرفين .

وقد قال الأستاذ جانو (Gianno) (لقد كانت القرصنة شراً عاماً ، وجدير بالملاحظة أن جميع الإتفاقيات حتى القرن الرابع عشر كانت تتحدث عن القراصنة المسيحيين أكثر من حديثها عن القراصنة المسلمين) [1].

---

(1) V.S. Gianno, Tripoli nelle tradizioni storico-commerciali (Atti dél Congr. Geogr. dell'Asmara pag. 353.

4) نشعر بأن هذا الكتاب يمكن أن يمثل خطوطاً رئيسية لدراسة أشمل وأوسع عن هذه الفترة تعطي صورة أوضح عنها ، من خلال التعريف بشخصياتها البارزة ، والصراع حول السيادة على البحر الأبيض المتوسط بين القوى الإسلامية والمسيحية ، والأوضاع العامة التي كانت تعيشها بلدان الشمال الإفريقي ، وذلك ما ينبغي أن تنصرف إليه جهود الباحثين بالرجوع إلى المصادر الرئيسية عن هذه الفترة سواء كانت بالأسبانية أو التركية أو الإيطالية وقد ذكر الأستاذ المؤلف بعض المراجع التي آستفاد منها والتي تنتظر بعض الباحثين الذين يرجعون إليها من أجل مزيد من التوسع والتفصيل .

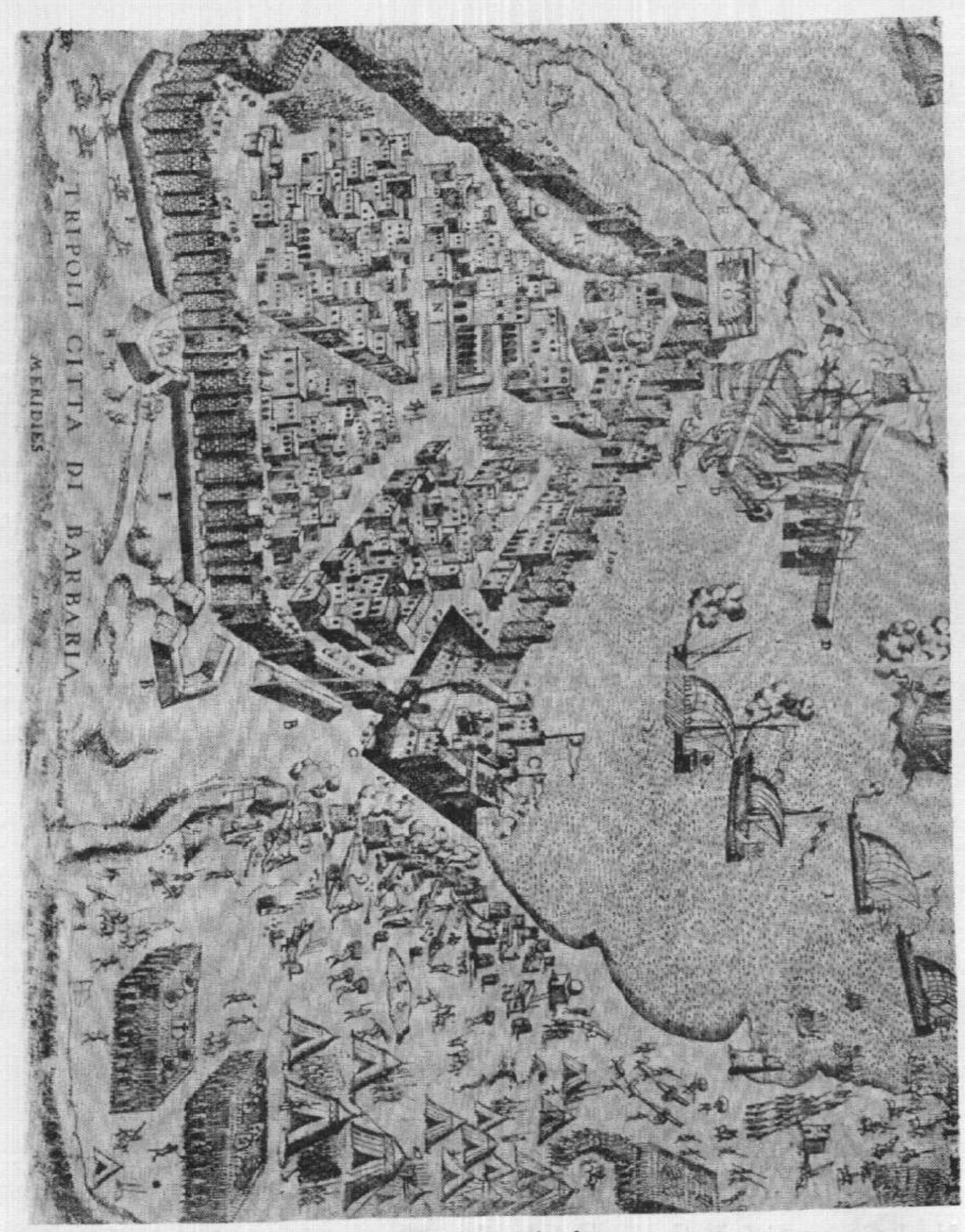
5) تؤكد هذه الدراسة بطريق غير مباشر - وكذلك غيرها من الدراسات - مساهمة بلادنا الإيجابية في الدفاع عن الوجود الإسلامي في هذه المنطقة ، وهو الأمر الذي نهضت إليه بقوة وحماس طوال الفترة التي ابتدأت مع العهد العثماني الأول ، وبلغت قمتها في أيام درغوت وخلفائه .

6) ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى مصدر هام من المصادر المتعلقة بسيطرة فرسان مالطا ، وهو كتاب بوزيو Bosio حول تاريخ هذه المنظمة ، وقد قام الأستاذ أوريجما Aurigemma باستخلاص النصوص التي تتعلق بليبيا وأخرجها في كتاب نشره بعنوان (Cavalieri Gerosolimitani a Tripoli) ويتضمن هذا الكتاب معلومات وافية عن حكم الفرسان لمدينة طرابلس ، وقد تهيأ للمؤلف أن يحيط بتفصيلات وأن يلم بوقائع تلك الفترة ، نظراً لصلته الوثيقة بالمنظمة التي أصبح فيما بعد مؤرخها المتخصص . ويعطينا هذا الكتاب صورة كاملة عن الأوضاع التي كانت سائدة في القلعة والمدينة خلال الفترات التي تعاقب فيها حكام فرسان مالطا ، ويروي أخبار الصراع بينهم وبين الأسطول العثماني ورجالات البحرية الإسلامية في ذلك من أمثال درغوت ومراد آغا وسنان باشا وبيالي باشا وخير الدين بربروس ، وهو

من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها مؤلف هذا الكتاب .

7) ألحق المؤلف بكتابه هذا مجموعة من نصوص الوثائق التي عثر عليها في محفوظات مالطا ، وقد أثبتناها بنصها الأصلي مع خلاصة وافية عنها يجدها القارىء في مكانها من الكتاب .

خليفة محمد التليسي



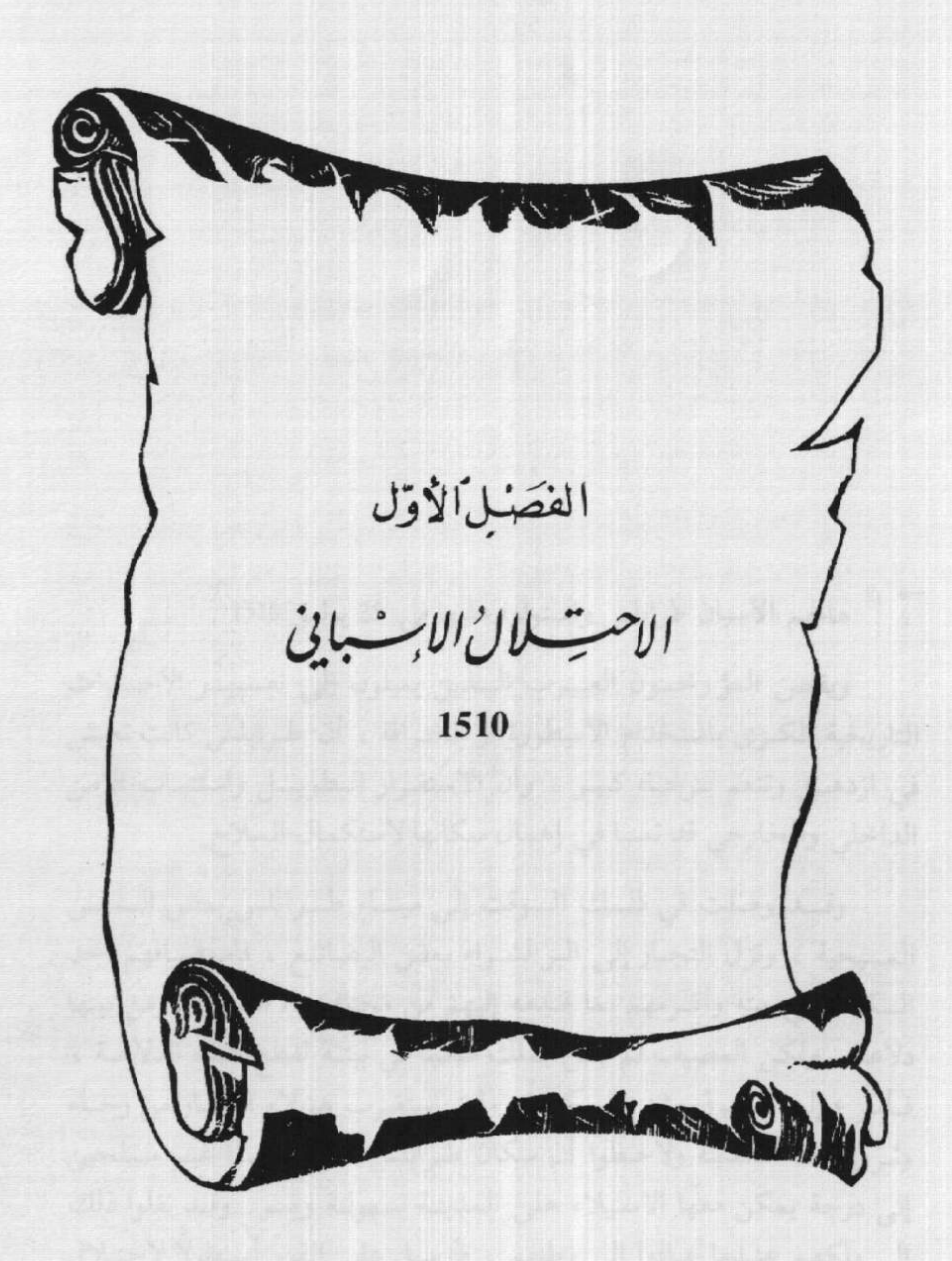
طرابلس سنة 1559

1 - يمثل الرسم حصاراً وهمياً تقوم به القوات المسيحية بقيادة دوق مدينا شيلي .

2 - يشير حرف **K** إلى حصن الكاستلاجو **Castellajo** الوارد ذكره في هذه الدراسة .

3 - يشير حرف **O** إلى الحصن الذي بناه درغوت باشا .

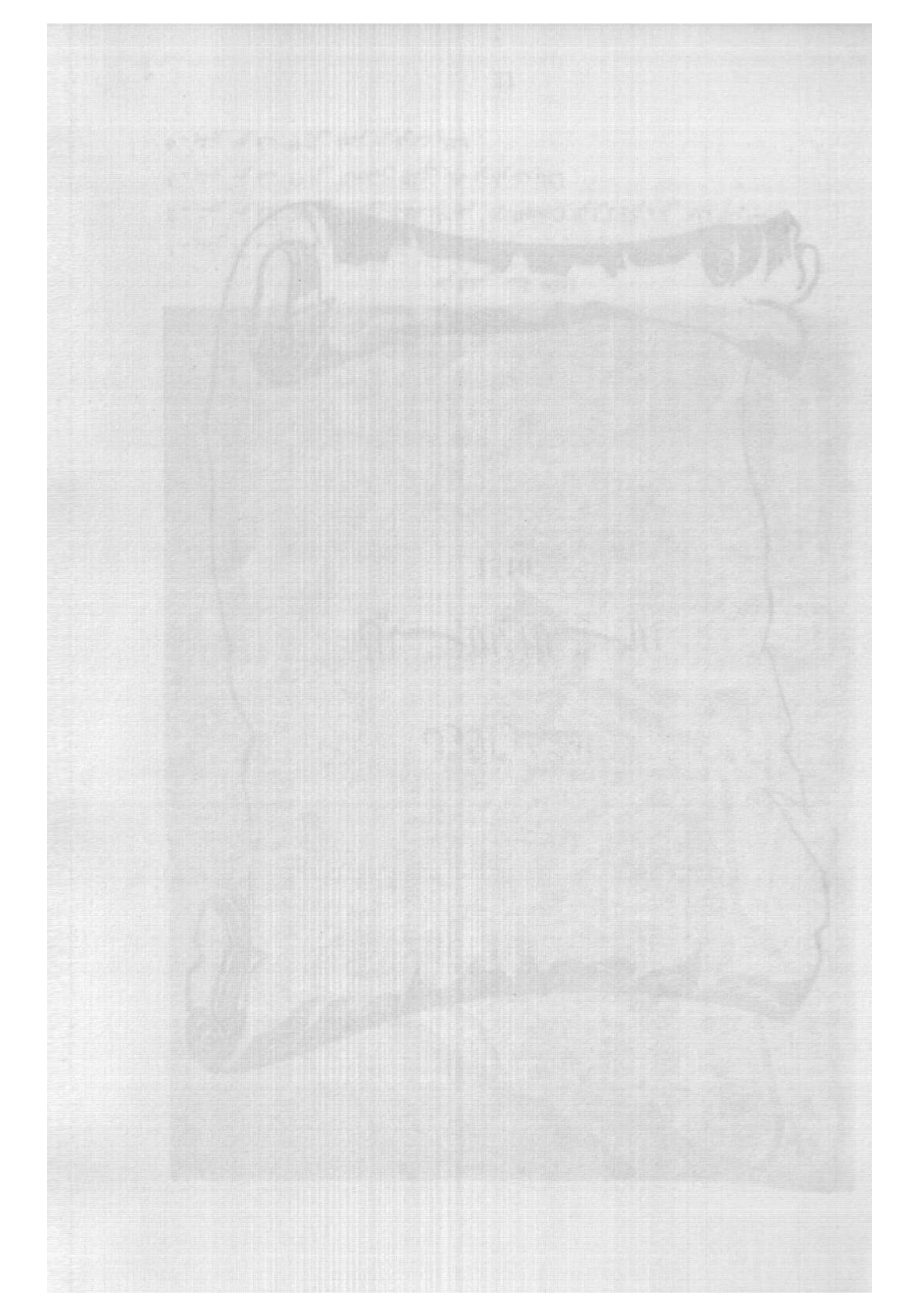
4 - يشير حرف **P** إلى قصر درغوت باشا .



الفصل الأول

الاحتلال الإسباني

1510



هاجم الأسبان طرابلس واستولوا عليها في 25 يوليو 1510 .

ويقص المؤرخون العرب الذين يميلون إلى تفسير الأحداث التاريخية الكبرى باستخدام الأسطورة أو الخرافة ، أن طرابلس كانت تعيش في ازدهار وتنعم برخاء كبير ، وأن الاستقرار الطويل واستتباب الأمن الداخلي والخارجي قد تسببا في إهمال سكانها لاستكمال السلاح .

وقد وصلت في ذلك الوقت إلى ميناء طرابلس بعض السفن المسيحية ، ونزل التجار إلى البر لشراء بعض البضائع ، فاستضافهم أحد السكان في بيته وأكرمهم بما قدمه إليهم من مختلف الأطعمة . ومن بينها دلاعة . ولكن المضيف لم يكن يملك سكيناً في بيته لقطع هذه الدلاعة ، فأسرع إلى السوق يشتري سكيناً. وقد استغرب هؤلاء التجار من رخاء وثروة هذه المدينة ولاحظوا أن سكان طرابلس قد أصبحوا غير مسلحين إلى درجة يمكن معها الاستيلاء على المدينة بسهولة ويسر. وقد نقلوا ذلك إلى ملكهم عندما عادوا إلى وطنهم ، فأرسل على الفور أسطولاً لاحتلال

طرابلس [1] .

ولكن الاحتلال الأسباني لطرابلس سنة 1510 حادث يجب أن يدرس على وجه آخر يختلف عن هذا التفسير كل الاختلاف .

إن أحداث القرن السادس عشر أدخلت طرابلس وكل إفريقيا الشمالية في إطار السياسة الأوروبية ، مدة استغرقت عشرات الأعوام .

في سنة 1453 سقطت القسطنطينية . وواصل محمد الثاني ثم بايزيد الثاني وسليم الأول من بعده فتوحاتهم في شبه جزيرة البلقان تلك الفتوح التي زادت من حدة التناقض السياسي والديني بين الشرق والغرب ، وأصبحت تهدد أوروبا المسيحية .

وكانت تجري في أوروبا ذاتها أحداث أخرى تتجه إلى حفظ التوازن ثم إلى مواجهة التوسع الإسلامي الذي تولى - منذ قرون - الأتراك العثمانيون قيادته وتوجيهه .

كانت المقاومة وحركة الاسترداد قد آنطلقت من أقصى بلدان أوروبا الغربية ، من أسبانيا ، التي آستطاعت في سنة 1492 أن تطوي صفحة آخر الممالك العربية في غرناطة .

وقد أصدر الملك الكاثوليكي فرديناند دارجونا والملكة إيزابيلا دي كاستيليا أمزاً يقضي بطرد جميع المسلمين من شبه جزيرة ايبريا .

ولم يكتف الأسبان ، الذين كانوا في ذلك الوقت في مستهل حياة وطنية جديدة ، بتحرير بلادهم من الفاتحين القادمين من إفريقيا والشرق ولكنهم ألقوا أنفسهم بحماس فتي إلى العمليات التجارية والتوسع في

---

(1) أورد هذه القصة العياشي ، الرحالة المغربي من القرن السابع عشر ، في كتابه (الرحلة) ورددها ابن غلبون والنائب وفيراود في حولياته Feraud : Annales .

احتلال البلدان ، وانتهوا بالضرورة إلى احتلال سواحل إفريقيا الشمالية تلك السواحل التي يبين التاريخ أنها كانت دائماً عرضة للاحتلال من كل شعب يتطلع إلى التفوق والسيادة على البحر الأبيض المتوسط .

وفي نفس الوقت كان البرتغاليون يدفعون سفنهم في إقدام إلى آكتشاف سواحل إفريقيا على المحيط الأطلسي .

واكتشف الإيطالي كريستوفرو كولومبس ، الذي كان يعمل لحساب أسبانيا قارة أمريكا ، ووجد فاسكو دي جاما (1497) الطريق البحري إلى الهند الشرقية . بينما كانت البندقية مضطرة إلى الدفاع بالسلاح والسياسة عن امبراطوريتها الاستعمارية المهزوزة ، والدول الغربية في أوروبا التي وحدتها الحركات القومية في ممالك كبيرة زادت من قوتها ومكنتها من السيطرة السياسية والتجارية .

كانت اسبانيا في ذلك الوقت على رأس تلك الحركة تكرس كل جهودها لهذا النشاط المتحمس المليء بالوعود .

ومن سواحل أسبانيا التي كانت عرضة لغزوات العرب ، وخاصة من وهران ، والجزائر وبيجاية [1] ، كانت تخرج المراكب الأسبانية لغزو ونهب سواحل إفريقيا الشمالية ، وكان احتلال الشمال الإفريقي يبدو شيئاً ضرورياً للأسبان ، لأسباب سياسية وآقتصادية وفي نفس الوقت لسبب ديني [2] .

وكان الكاردينال اكسمنيس (Ximenes) أسقف طليطلة ورئيس وزراء فرديناند الكاثوليكي ، قد جعل من نفسه داعية وملهماً لهذه الحملات التي آتخذت لون الحركة الصليبية .

وفي سبتمبر 1505 احتلت أولى الفرق ، المرسى الكبير وفي 17

---

(1) De Sandoval (Vida y echos del amperador Carlo Quinto. Pamplona 1634 vol. I cap. 28.

(2) F. Braudel (Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577) in (Revue Africaine) 1928 pp. 184 - 233 - 351 - 428.

احتـلال البلدان ، وانتهوا بـالضرورة إلى احتـلال سواحـل إفريقيـا الشمـاليـة تلك السواحل التي يبين التـاريخ أنهـا كانت دائمـاً عرضـة للاحتـلال من كل شعب يتطلع إلى التفوق والسيادة على البحر الأبيض المتوسط .

وفي نفس الـوقت كـان البـرتغـاليـون يـدفعـون سفنهم في إقـدام إلى آكتشاف سواحل إفريقيا على المحيط الأطلسي .

واكتشف الإيطالي كريستـوفرو كـولومبس ، الـذي كان يعمـل لحساب أسبانيا قـارة أمريكـا ، ووجد فـاسكو دي جـاما (1497) الـطريق البحري إلى الهند الشرقية . بينما كـانت البندقيـة مضطرة إلى الـدفاع بـالسلاح والسيـاسة عن امبـراطوريتهـا الاستعماريـة المهزوزة ، والـدول الغربيـة في أوروبا التي وحـدتها الحـركات القـومية في ممـالك كبيـرة زادت من قـوتهـا ومكنتهـا من السيطرة السياسية والتجارية .

كـانت اسبانيـا في ذلك الـوقت على رأس تلك الحـركـة تكـرس كـل جهودها لهذا النشاط المتحمس المليء بالوعود .

ومن سواحل أسبانيا التي كانت عرضـة لغزوات العـرب ، وخاصـة من وهران ، والجزائر وبيجاية [1] ، كانت تخـرج المراكب الأسبـانية لغـزو ونهب سواحل إفريقيا الشمالية ، وكان احتلال الشمال الإفريقي يبـدو شيئاً ضـرورياً للأسبان ، لأسباب سياسية وآقتصادية وفي نفس الوقت لسبب ديني [2] .

وكان الكاردينـال اكسمنيس (Ximenes) أسقف طليطلة ورئيس وزراء فرديناند الكاثوليكي ، قد جعـل من نفسه داعيـة وملهماً لهـذه الحملات التي آتخذت لون الحركة الصليبية .

وفي سبتمبـر 1505 احتلت أولى الفرق ، المـرسى الكبيـر وفي 17

---

(1) De Sandoval (Vida y echos del amperador Carlo Quinto. Pamplona 1634 vol. I cap. 28.

(2) F. Braudel (Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577) in (Revue Africaine) 1928 pp. 184 - 233 - 351 - 428.

مارس 1509 استولى الكونت بدرو دي نافارا Conte Pedro di Navarran على وهران وفي 5 يناير 1510 احتل نفس القائد ، بلدة بيجاية ، وفي هذه البلدة عقد في شهر مايو من نفس العام اتفاقية مع ملك تونس ، أعلن بموجبها تبعيته للملك الكاثوليكي .

وفي 7 يونيو غادر الكونت بيجاية على رأس (8000) رجل واتجه إلى فافينيانا (Favignana) حيث ينتظر السفن القادمة إليه من نابولي وصقلية للمشاركة في الهجوم على طرابلس ، وقد نسقت حملة طرابلس تحت إشراف وتوجيه نائب ملك صقلية ، وتم تنفيذها بمشاركة جنود إيطاليين ، وخاصة من صقلية .

وقد غادر الأسطول فافينيانا في 15 يوليو 1510 ، حيث توقف في جوزو (Gozo) بمالطا وآنضم إليه بعض المالطيين بآعتبارهم مرشدين (لمعرفتهم بطرابلس وخبرتهم بكافة سواحل الشمال الإفريقي) وتولى مهمة الإرشاد البحري المرشد المالطي جوليانو أبيلا .

كانت الحملة مكوّنة من 60 سفينة ومن غليونين وعدد من المراكب ذات الشراعين وخمسين مركباً ذات الأشرعة الثلاثية .

وآنضمت إليها في مالطا خمسة سفن مالطية مسلحة تسليحاً جيداً .

وحين غادرت الحملة مالطا في يوم 20 يوليو ، كانت تتكون من مائة وعشرين قطعة بحرية بين صغيرة وكبيرة ، وعلى ظهرها جميعاً (15) ألف جندي أسباني ، وثلاثة آلاف جندي إيطالي وعدد من المغامرين .

وقد قص علينا الكونت بدرو دي نافارا قصة احتلال المدينة في رسالة وجهها إلى نائب الملك بصقلية في 29 يوليو من العام نفسه .

ومن المهم أن نتابع قصة هذا القائد الأسباني الذي يخبرنا بأن الأسطول قد وصل إلى طرابلس صباح الخميس 25 يوليو وهو يوم القديس

يعقوب ، وهو قديس عزيز على الأسبان بصفة خاصة ، ونزل إلى البر في ساعات قليلة ستة آلاف رجل ، قام نصفهم بمهاجمة المدينة ، بينما بقي القسم الآخر لحماية الهجوم من العرب القاطنين بالريف ، وسرعان ما استولى المهاجمون بمساعدة المدفعية على قسم من السور ، وبرجين ، ثم استولوا على البرج القائم عند باب العرب [1] وفتحوا الباب الذي دخل منه الأسبان إلى المدينة وظلوا يحاربون ثلاث ساعات داخل شوارع المدينة إذ كان الطرابلسيون يقاومون في عنف .

إذن لم يكن صحيحاً ، ما تردد من أن سكان طرابلس ، قد أصبحوا مجردين من السلاح ، كما تصور لنا الأسطورة العربية التي ذكرت سلفاً .

(كان هناك عدد كبير من الموتى بين العرب وهم من الكثرة بحيث لن تجد موطئاً لقدمك إلاَّ فوق الجثث ، ويقدر عدد القتلى بين العرب بحوالي خمسة آلاف ، أما الأسرى فهم أكثر من ستة آلاف ، أما قتلى المسيحيين فقد كانوا قليلين) .

وإذا صحت هذه الأرقام ، فإنها تدل أيضاً على أن مدينة طرابلس كانت آهلة بعدد كبير من السكان .

ومن المؤكد أن المدينة ، كانت حينذاك مزدهرة وغنية وتشهد بذلك الكلمات التالية للقائد الأسباني التي خاطب بها نائب الملك بصقلية : (سيدي ، إن هذه المدينة هي أكبر مما كنت أتصور ورغم أن الذين يشيدون بها يتحدثون عنها حديثاً حسناً ، ولكني أرى أنهم لم يقولوا إلاَّ نصف الحقيقة ، وبين المدن التي رأيتها في هذا العالم لم أجد مدينة تضاهيها ، سواء في تحصيناتها أو نظافتها حتى لتبدو مدينة امبراطور أكثر منها مدينة لا تنتمي إلى أي ملك خاص) .

---

(1) باب المنشية أو لعله باب الحرية.

ورغم أنـه من الممكن أن يكـون إعجـاب الكـونت بـدرو دي نـافـارا صـادراً عن شعور طبيعي بـالزهـو والفرح بنجـاح المهمة التي أنجـزهـا ولكن المقارنة بالمواقع الأخرى التي احتلها من إفريقيـا حتى ذلك الـوقت ، تظهـر كيف كـان لهذا الإعجاب بطرابلس مـا يبرره في طـرقهـا الفسيحـة نسبيـاً ، ومنـازلها الجميلة المتـرفة ، وأثـر تاريخي خـالد بـارز مثـل قـوس مـاركـوس أوريلوس .

إن الشهـرة التي شـاعت عن غنى طـرابلس (التي اجتـذبت قبـل قـرن ونصف فيليبـو دوريا في حمـلاته القـرصانيـة الجريئـة) قد انتشـرت بطريقـة خيالية في أوروبا .

وعنـدمـا وصـل نبـأ الاستيـلاء على طـرابلس سنــة 1510 ، انتشـرت الشـائعات تـردد أن في طرابلس تـاجرين يملك كـل منهما مليـونـاً من النقـد الذهبي السائل [1] .

ويقدم لنا باتيستينو دي تـونسيس (Battistino de Tonsis) الذي شـارك في الحملة ، هذه الأوصاف لمدينة طرابلس :

(إن مـدينة طـرابلس تقع في سهـل ، وهي مـربعـة ويحيط بهـا سـور يمتـد أكثر من ميـل . ولها سـوران مـزدوجـان تحف بهمـا خنـادق منخفضـة وضيقة . السور الأول صغير ومنخفض ، أما السور الثاني فهـو مرتفـع جداً ، وضخامته متناسبة مع الأبراج وهي ذات مـواقع دفـاعية قـوية ضخمـة ، وهي محاطة بالبحر من جهـاتها الثـلاث ، ولها مينـاء ممتاز قـادر على أن يستوعب أربعمائة سفينة ، ومراكب ذات المجـاذيف ومن أجل ذلـك كان فقـدان تلك المـدينة قضيـة مؤسفة يقـال إنـه يسكنهـا أكثـر من عشـرة آلاف نسمـة ، من العـرب وبعض اليهود الـذين أسـر منهم حـوالى خمسـة آلاف أو أكثـر ، أمـا البقيـة فقـد قتلوا ولم ينـج منهم إلاَّ القليـل الـذي تخطى السـور من جـانب

---

(1) M. Sanudo XI 112.

(Jodecha) الحي اليهودي الواقع شمال المدينة) .

وقد ترك لنا باتيستينو دي تونسيس أيضاً قصة حية عن احتلال المدينة، وكانت قمة الهجوم قد بلغت عندما تمكن حامل العلم جيم دياز (Jaime Diez) من رفع العلم الأول (فوق السور داخل القلعة والباب العربي) ودخلت القوات البرية المسيحية في المدينة ، كالطيور لا يكاد يصدق الإنسان أنها دخلت من الأبواب تقتل وتطارد الأعداء الذين تحصنوا في القلعة والمسجد الكبير وبعض الأبراج والحصون ولم تتوقف الجيوش البرية عن المقاومة من جهة باب البحر، ولما كانت القوات البرية قد دخلت المدينة ، فقد ألزمهم شعور الخجل ، بإظهار مزاياهم ، وأمكنهم بعد ذلك أن يجتازوا السور ودخلوا المدينة التي أصبحت من كل جهاتها مباحة ، أما الأعداء فقد قتلوا شر قتلة . وحوصر الأحياء في القلعة والمسجد . وقد تمكنوا بعد ذلك من الاستيلاء عليه بالقوة بعد قتال مرير ، وأسر الملك الذي يدعى الشيخ ، مع أولاده وزوجته وأسرته المالكة كما أطلق سراح (150) مسيحياً وهم من أسرى وخدام العرب الذين وجدوا في الخنادق مصفدين) وقد مات في هذه المعركة (150) جندياً مسيحياً وأكثر من ألفين من العرب [1] .

وهناك تقرير (Relacion) لشخص مجهول شارك في الأحداث يزودنا بتفصيلات أخرى حول نزول القوات وعمليات الاحتلال .

لقد وصل الأسطول الأسباني إلى مشارف طرابلس يوم 24 ، وأرسل على الفور الكولونيل البندقي جيرولامو فيانيللو (Girolamo Vianello) الذي كان قد أقام في طرابلس من قبل بوصفه تاجراً ، وكان على معرفة كاملة بالمدينة ، لكي يجمع المعلومات عن الوضع العام وليتأكد مما إذا

---

(1) M. Longhena

S. Aurigemma (1))Le fortificazioni di Tripoli) in (not. arch. Min. Colonie) 257 (2)
(Il Castello di Tripoli di Barberia) in (Rinascita della Tripoli tania) Roma 1926.

كانت قد وصلت نجدات تركية [1].

وفي صباح يوم 25 ، تم تنفيذ عمليات النزول تحت قصف المدافع الطرابلسية التي كانت تقابلها وتواجهها نيران المراكب الغازية. وقد جرى تقسيم قوة الحملة إلى مجموعتين ، الأولى مكونة من أربع فرق كبيرة تعداد كل فرقة (1000) جندي كانت بقيادة ديجو باشيكو (Diego Pacheco) جوناس دي أريجا (Joanes de Arriaga) جوان سالجادو (Juan Salgado) وأفيلا (Avilla) كانت هذه الفرق مكلفة بمهاجمة المحاربين المقيمين خارج المدينة والعمل على الحيلولة دون وصول النجدة من الريف . أما القسم الآخر المكون من بقية الجيش والمؤلف من (11) ألف رجل كان مكلفاً بالهجوم وتسلق الأسوار .

ويؤكد هذا التقرير أيضاً أن المقاومة الكبرى قد تمت في المسجد الكبير حيث قتل ألفان من العرب بين رجال ونساء وأن الشيخ قد أغلق على نفسه القلعة ثم سلم نفسه مع بقية المسلحين وولديه ، وأخ له وأن موتى العرب كانوا ستة آلاف وأسر حوالى 10 آلاف وجرى إطلاق سراح (170) أسيراً مسيحياً ، وأغلبهم من الصقليين والمالطية .

أما الأسبان والقوات الإيطالية فقد كانت خسائرها (300) قتيل بينهم أميرال الحملة (Cristobal Lopez de Arriaran) وكان من الممكن أن تكون الغنائم أكبر مما استطاعت أن تحصل عليه القوات الغازية لولا أن العرب قد أخطروا بهذه الحملة قبل (35) يوماً من وقوعها من قبل أحد تجار جنوا الذي أبلغ عن طريق أصدقائه من التجار الجنويز في صقلية ، فنقلوا ثرواتهم فوق الإبل (خمسة آلاف) إلى المناطق والقرى المجاورة مثل تاجوراء وجنزور .

وكانت طرابلس في ذلك الوقت مدينة تجارية ، وتعتبر أغنى من

---

(1) N. Naldoni in (Atti 1 Conngresso Studi Coloniali) Firenze 1926 p. 538.

تـونس ، ويتردد عليهـا تجار العـرب والشمال الإفـريقي والأتـراك والجنـويـز والصقليين والمالطية .

وقـد استولـوا في الميناء على مـركب من نـوع (Caravella) ومـركب آخـر (Galera) ذي (22) مقعداً ، ومـركبين من نـوع (18) مقعـداً ، وعـدة قـوارب أخرى ، وفي اليـوم التـالي لـلاحتـلال تم الاستيـلاء على عـدة سفن كـانت قد وصلت من الإسكنـدريـة والشـرق على غيـر معـرفـة منهـا بـوقـوع المدينة تحت السيطرة الأسبانية [1] .

ويتحـدث مصدر آخـر أن زعيم طرابلس أي الشيـخ (الذي كـان وليـاً صـالحاً محتـرماً جليـلاً) [2] أسـر في القصبـة أي القلعـة وأرسـل أسيـراً إلى مسينـا ، ويخبرنـا قنصل البنـدقية في بـاليـرمـو بتـاريـخ 3 سبتمبـر بـوصـول مجموعة من الأسرى تقدر بـ (1400) أسير ، وأنهم بانتـظار عدد آخـر كبير . وإن الأسرى قد بيعوا في المزاد بسعر (3) إلى (5) دوكات للواحد [3] .

---

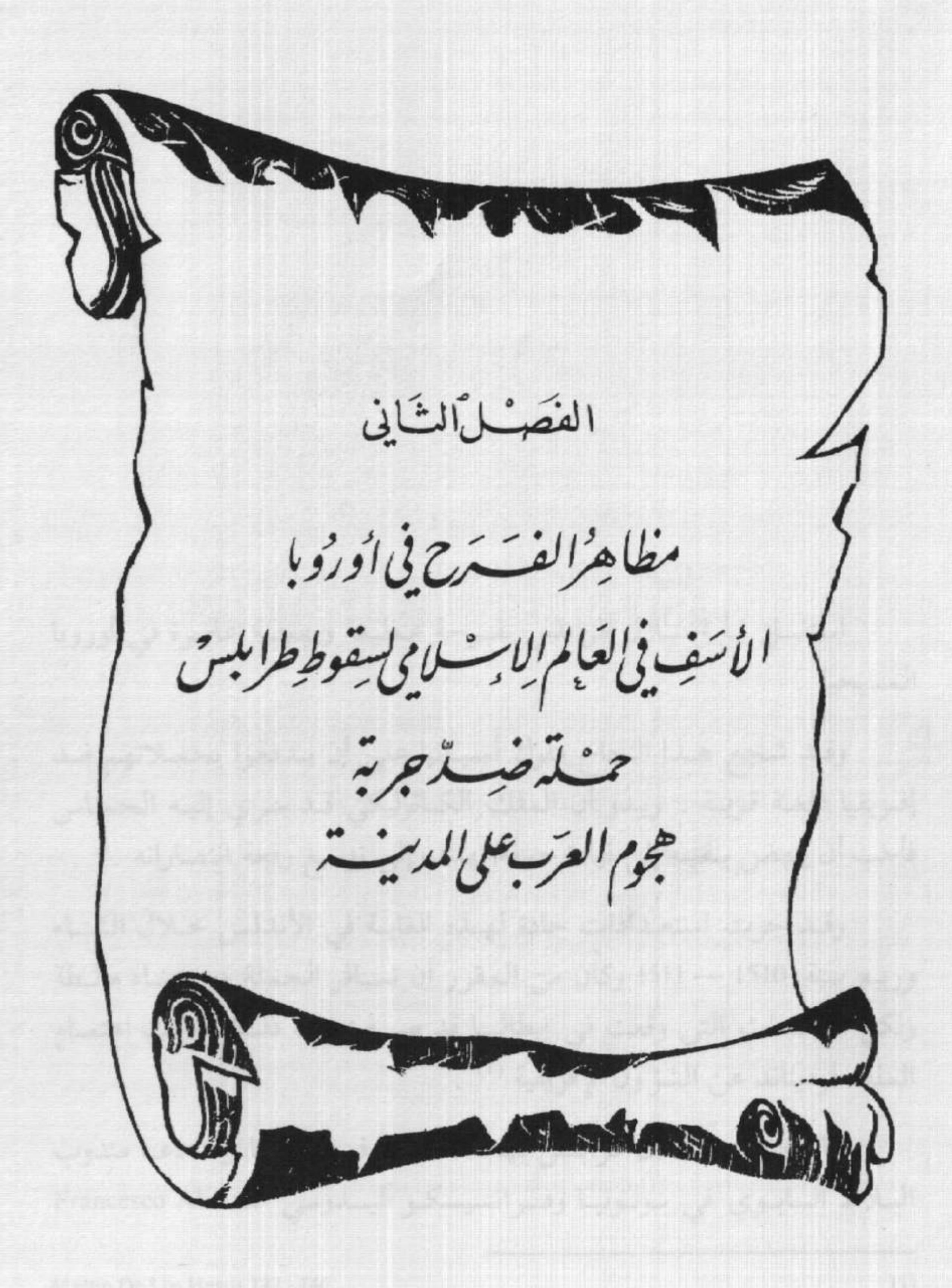
(1) Relacion طبع Martin de Los Heros

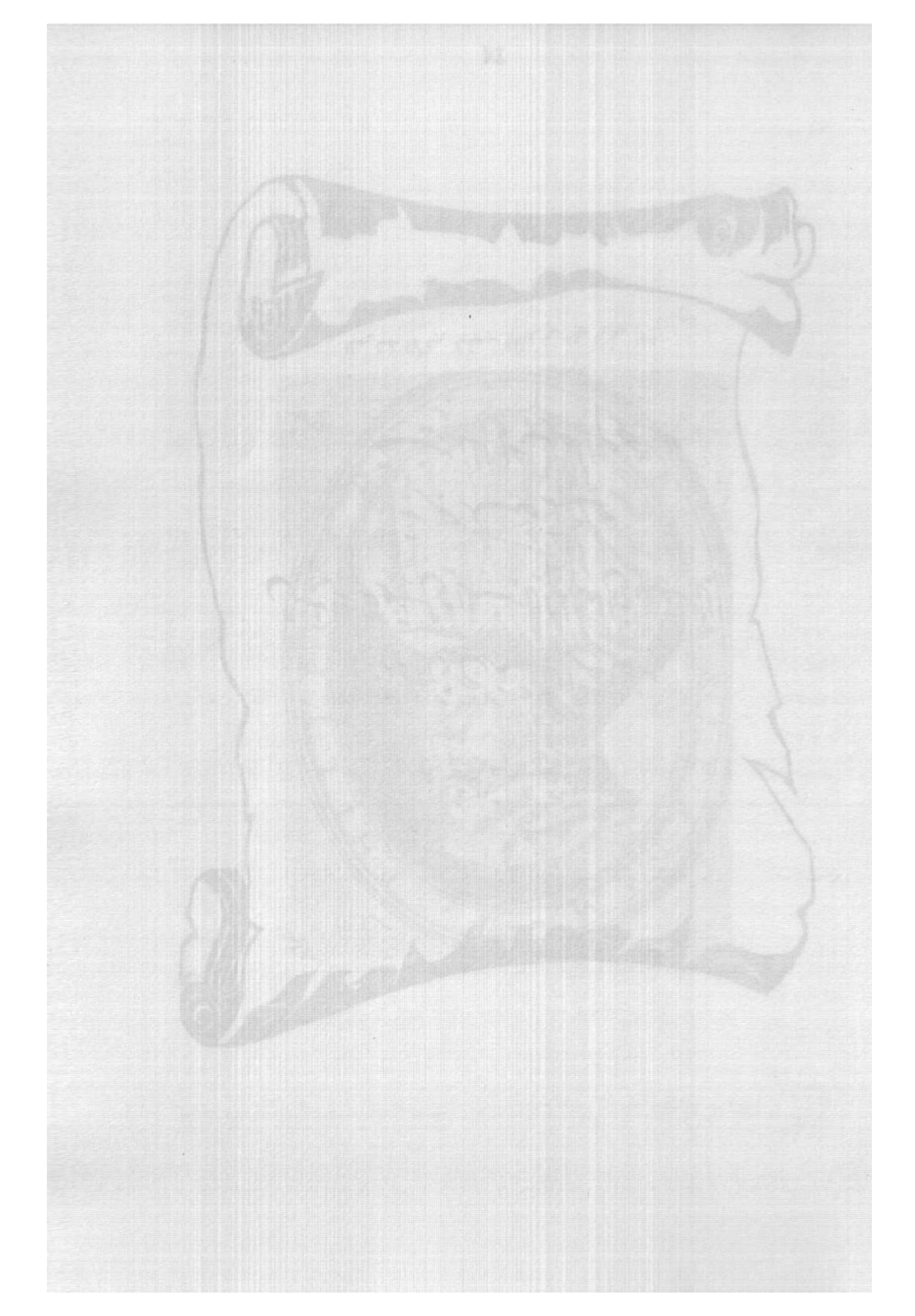
(2) Sandoval

(3) M. Sanudo, Diari XI 468.



المرشد الأكبر فيليب فلليرس دي لزلي آدم


الفصل الثاني
مظاهر الفرح في أوروبا
الأسف في العالم الإسلامي لسقوط طرابلس
حملة ضد جربة
هجوم العرب على المدينة



استقبل نبأ احتلال طرابلس بفرحة عظيمة وبهجة غامرة في أوروبا المسيحية .

وقد شجع هذا النجاح ملوك أسبانيا على أن يدفعوا بحملاتهم ضد إفريقيا دفعة قوية . ويبدو أن الملك الكاثوليكي قد سري إليه الحماس فأحب أن ينهض بنفسه إلى قيادة حملة تهدف إلى توسيع رقعة انتصاراته .

وقد جرت استعدادات جادة لهذه الغاية في الأندلس خلال الشتاء وربيع سنة 1510 — 1511 وكان من المقرر أن تسافر الحملة من ميناء مالطة ولكن الأحداث التي وقعت في إيطاليا قد صرفت منذ ذلك الوقت اهتمام الملك فرديناند عن الشؤون الإفريقية [1] .

أثار حادث احتلال طرابلس بهجة خاصة في إيطاليا وقد دعا مندوب البلاط البابوي في بولونيا وفرانسيسكو أليدوسي Francesco Alidosi

(1) Martin De Los Heros 142 - 146.

المسيحيين إلى تنظيم مظاهرة كبيرة تعبيراً عن فرحتهم وبهجتهم باحتلال (مدينة تسمى طرابلس البربرية وهي أرض عامرة بالسكان) [1] .

وفي روما احتفل بسقوط طرابلس يوم 10 أغسطس ونظم موكب ديني [2] . وكان استقبال هذا النبأ عظيماً يتناسب مع ما كانت تتمتع به طرابلس من سمعة باعتبارها مدينة غنية وقوية بحصونها .

وكانت فرحة سكان إيطاليا الجنوبية وصقلية ومالطا ، فرحة عميقة ، ويبدو أنه قد انشىء في هذه المناسبة بصقلية وسام تذكاري [3] .

وتجدر الإشارة إلى أنه كان من بين التهاني التي وصلت إلى فرديناند الملك الكاثوليكي للإشادة بهذا الحدث السعيد ، تلك التهنئة التي وجهها المرشد الأكبر في رودس أميريكو دامبوزيو (Emerico d'Amboise) إذ ما كاد يبلغ باحتلال طرابلس من قبل نائب ملك صقلية حتى بادر على الفور إلى تقديم التهاني ، وانتهز هذه الفرصة لإعلامه بالانتصار الذي أحرزه الأسطول الرودسي في نهاية أغسطس من ذلك العام على أسطول سلطان مصر في خليج (الاياس) (Laiazzo) .

وقد دعا المرشد الأكبر الملك إلى أن يواصل حملاته على إفريقيا حتى مصر على أمل أن يتمكن هناك من ضم قواته إليه (لخدمة الله في هذه المهمة السامية) [4] (Ye servir à Dios en tan meritoria empresa) .

ولم يكن أقل من ذلك شعور الأسف الذي أثاره هذا الحادث في البلدان الإسلامية المجاورة في تونس وفي مصر كما سنرى لسقوط هذه المدينة الهامة في أيدي المسيحيين .

---

(1) G. Pantanelli (Tripoli in un Documento Bolognese del Secolo XVI) Bologna 1912.

(2) M. Sanudo. Diarii XI 123.

(3) Martin De Los Heros.

(4) Martin De Los Heros XXV p. 147.

ويكتب مـارين سانـودو ـ Marin Sanudo ـ بتـاريـخ 24 نـوفمبـر 1510 (ص 22 — 23) ، (نقلاً عن أحد القـادمين من القاهـرة ودمياط أن العـرب المغـاربة في الاسكنـدريـة مـا كـادوا يعلمـون بنبأ سقـوط طـرابلس في يـد الجيش الأسبـاني حتى تجمعـوا في المسجـد وتشـاوروا في الأمـر وهجمـوا على فندق الأسبان هنـاك وألحقوا بـه أضراراً فـادحة ولكن أميـر الإسكندريـة عالج الموقف وأصلحه) [1] .

ولكن سلطان مصر ، في ذلك الـوقت كان ضعيفـاً جداً ، وبعيـداً جداً عن التـأثير على مصيـر طرابلس . وكـان الخطر الـذي يهـدد هـذا الاحتـلال الجـديد يكمن في الهجـوم المتوقـع من جانب عـرب الدواخـل . وقد طلب بـدرو دي نافـارا في رسالتـه إلى نائب الملك بصقلية ـ التي ذكـرنـاهـا ـ أن ترسل إليـه المدافـع والمنجنيق والأقواس . وضمـاناً لاستمـرار سيطرتـه على طرابلس واتخاذها قاعدة للعمليات الحربية القادمة في إفـريقيا نهض الكـونت على الفور إلى حملة ضد جزيرة جـربة . وبعـد أن استلم دعماً قـوامه ثـلاثة آلاف جندي بقيادة ديجو دي فرا Diego de Vera غادر طرابلس يوم 28 أغسطس على رأس جيشه ، وترك لحمايتها والدفاع عنها حامية مكونة من ثلاثة آلاف رجل بقيادة الكولونيلين سامينجو Samaniego وبالومينو Palomino .

وقد حمل بدرو نافارا معه (12) ألف جندي ، وفي جربة لحقت به (17) سفينة أسبانية بقيادة دون جارسيا دي توليدو (Don Garcia di Toledo) وعلى ظهرها ثلاثة آلاف رجل .

وقـد جرت المعـركة ضـد عرب الجـزيـرة في جـو خـانق من الحـر ، وفقدان المياه وانتهت إلى كارثة .

كـانت القوات المسيحيـة قد تهـافتت في فوضى حـول أحـد الآبـار ،

---

(1) Sanudo, Diarii X p. 624.

وكـان العـرب يتـرصـدونهم ، فمـا كـادوا يجـرونهم إلى هـذه الحـالـة حتى هاجموهم وأقاموا لهم مـذبحة . وقـد آرتفع عـدد الضحايـا بين قتلى وأسرى إلى أربعـة آلاف ، وفي رواية أخـرى إلى ألفين ، وكـان في عـداد المـوتى دون جارسيا دي تـوليدو ، وابن دوق ألبـا ، وشخصيات أخـرى مثل جـارسيا سارمينتو .

وغـادر الأسطول جـربة يـوم 13 اغسطس ، فـاستقبلتـه العـواصف في الطريق ، ولم يصل طرابلس إلاَّ يوم 19 سبتمبر [1] .

وبينما كانت الحملة في جربة استـطاع بضعة آلاف من العـرب تحت قيادة بعض الرؤساء المسيحيين الذين فروا من معسكر بـدرو نافـارو مهاجمـة المـدينة وتمكنـوا من تسلق السور ، ولكن المحصنين هـزموهم وقـذفـوا بهم خارجه .

وفي أكتـوبر أبحـر الكونت ، تـاركاً في طـرابلس دييجـو دي فيـرا مـع ثـلاثة آلاف جنـدي ولكن العاصفـة ردته إلى طـرابلس بعد أن تكبـد خسائـر فادحة في سفنه ورجاله .

وفي الشتـاء أعد الكـونت حملة ضد جـزيرة قـرقنة ، وهـو يهـدف من ذلك بصفة خاصة إلى الحصـول على قاعـدة بحريـة لسفنه ولعمليـات قادمـة يقوم بها ضد جربة أو الساحل .

ولكن هـذه العملية أيضاً كـان نصيبهـا الفشـل إذ هـوجمت فـرقـة من الجنود قوامها حوالى (400) رجـل كانت تقـوم بتطهيـر بعض آبار الميـاه أثناء الليـل (يعتقد أن ذلـك بسبب خيانـة أحد الـرواد) من قبل العـرب وأبيـدت وكـان بين القتلى الكولـونيـل البنـدقي الـذي سبق ذكـره جيـرولامـو فيـانيللو Girolamo Vianello الذي كان يشرف على تلك الأشغال ويديرها .

---

(1) M. Longhena.

وكـان العدد القليـل من الطرابلسيين الـذين نجوا في يـوليـو 1510 قـد لجـأوا إلى العـرب المقيمين في الضواحي وكانوا يعملون بمسـاعـدتهم على استعـادة المدينـة . وقد تـألفت مراكـز تنظيميـة في الجبل وغـريان وتـاجوراء المنطقة القريبة من طرابلس .

وقـد أدرك السلطان الحفصي في تونس، أن برنامج الأسبان كان يقـوم على احتـلال جميع بلدان السـاحـل الشمـالي لإفريقـا ، المعـروفـة بـاسم (Barberia) وحـاول أن يتخـذ الاحتيـاطـات الـلازمـة للدفـاع عن أرضـه ، ويبـدو أيضـاً أن السلطان أبـو عبـد الله محمـد بن الحسن كـان يميـل إلى مساعدة الطرابلسيين حلفائه الطبيعيين ، ضد الأعداء المسيحيين .

وكـانت تتوالى الأنبـاء من تونس أن المسلمين هنـاك غاضبـون ثائـرون ضد المسيحيين وأنهم قد فرحوا لهزيمة الأسبان في جربة .

وكانت تجري في تـونس الاستعدادات وإرسـال الرجـال لدعم العمـل من أجل استرجـاع طرابلس [1] .

ويعـد النكبة التي مني بهـا الكونت بـدرو دي نافـارا في قـرقنـة وصـل إلى كابري بجيشه الذي هبط إلى 23 شراع و 4 آلاف رجل .

ومنـذ ذلك الحين لم يعـد يبدو اسمـه في تـاريـخ طـرابلس ، بعـد أن بـدت صورتـه زاهية بـالنصر يـوم 25 يوليـو 1510 ثم طمستها نكبـات جـربـة وقرقنة .

وقد ثقل هذا الحادث على نفـوس الأسبان وأحسـوا بمرارتـه وفداحتـه ويبـدو أن هذا الحـادث المنحوس الـذي وقع في أغسـطس 1510 هو الـذي ولد العبارة المشهورة (إن الجربيات يا أماه عسيرات المنال)

(Los Gelves, madre malos son de ganar)

---

(1) M. Sanudo, Diarii.

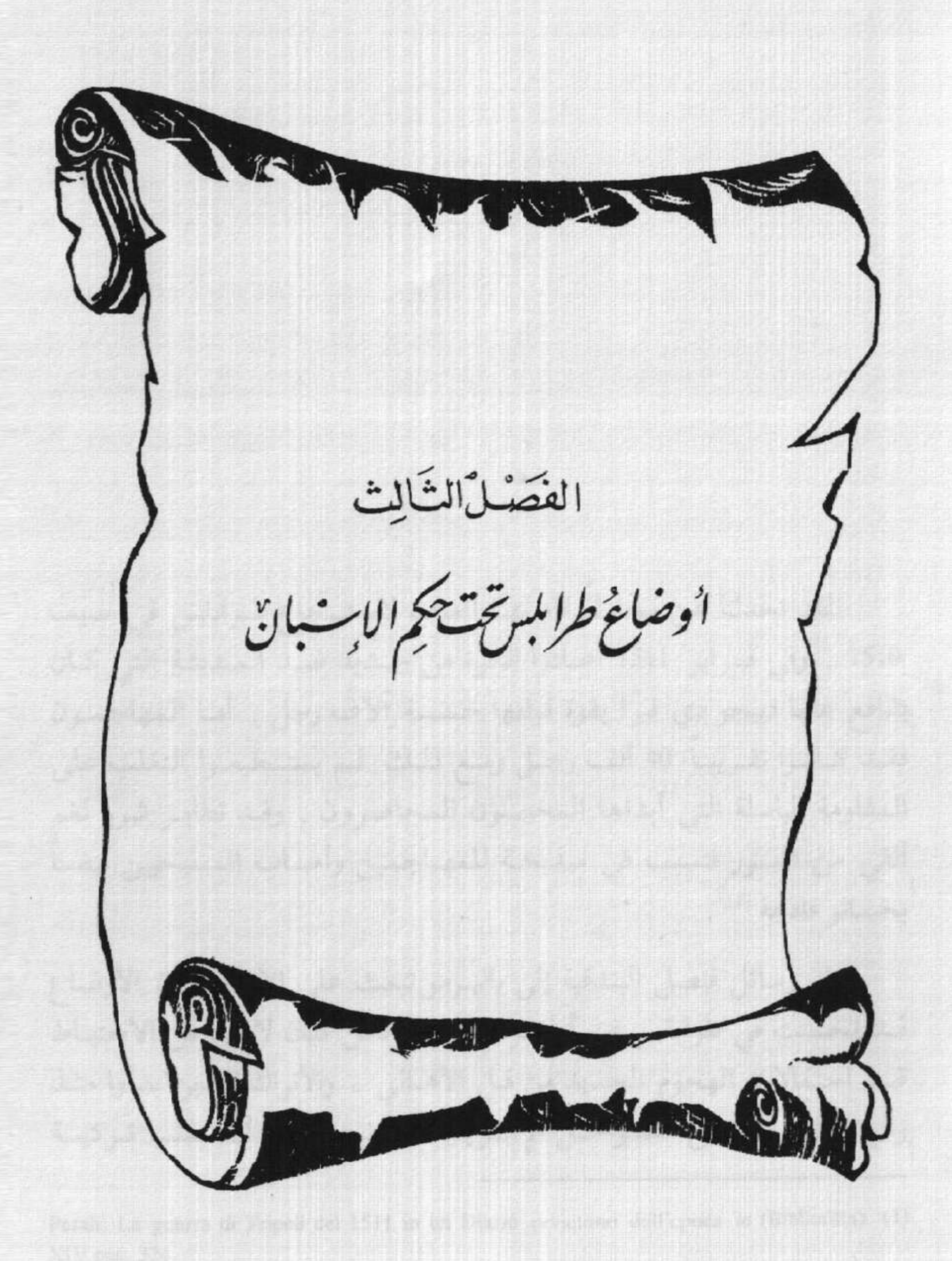
ومن المعلوم أن الأسبانيين وحلفاءهم قد تعرضوا لهزيمة أخرى شنعاء في عملياتهم البحرية والبرية سنة 1560 .

وسوف نرى أن هوجو مونكادا (Hugo de Moncada) هو الوحيد الذي يحرز انتصاراً ملحوظاً سنة 1520 .

أما الكونت بدرو نافارا بعد أن عمل في خدمة الأسبان ضد فرنسا في إيطاليا سنة 1512 وقع أسيراً في يد الفرنسيين ، ثم أطلق سراحه فرانشيسكو الأول وعمل في خدمة الفرنسيين ضد مواطنيه حتى قبض عليه هؤلاء في بداية سنة 1529 وأعدم ، ويعتقد أن إعدامه قد تم في كاستيل دل أوفو في نابولي [1] .

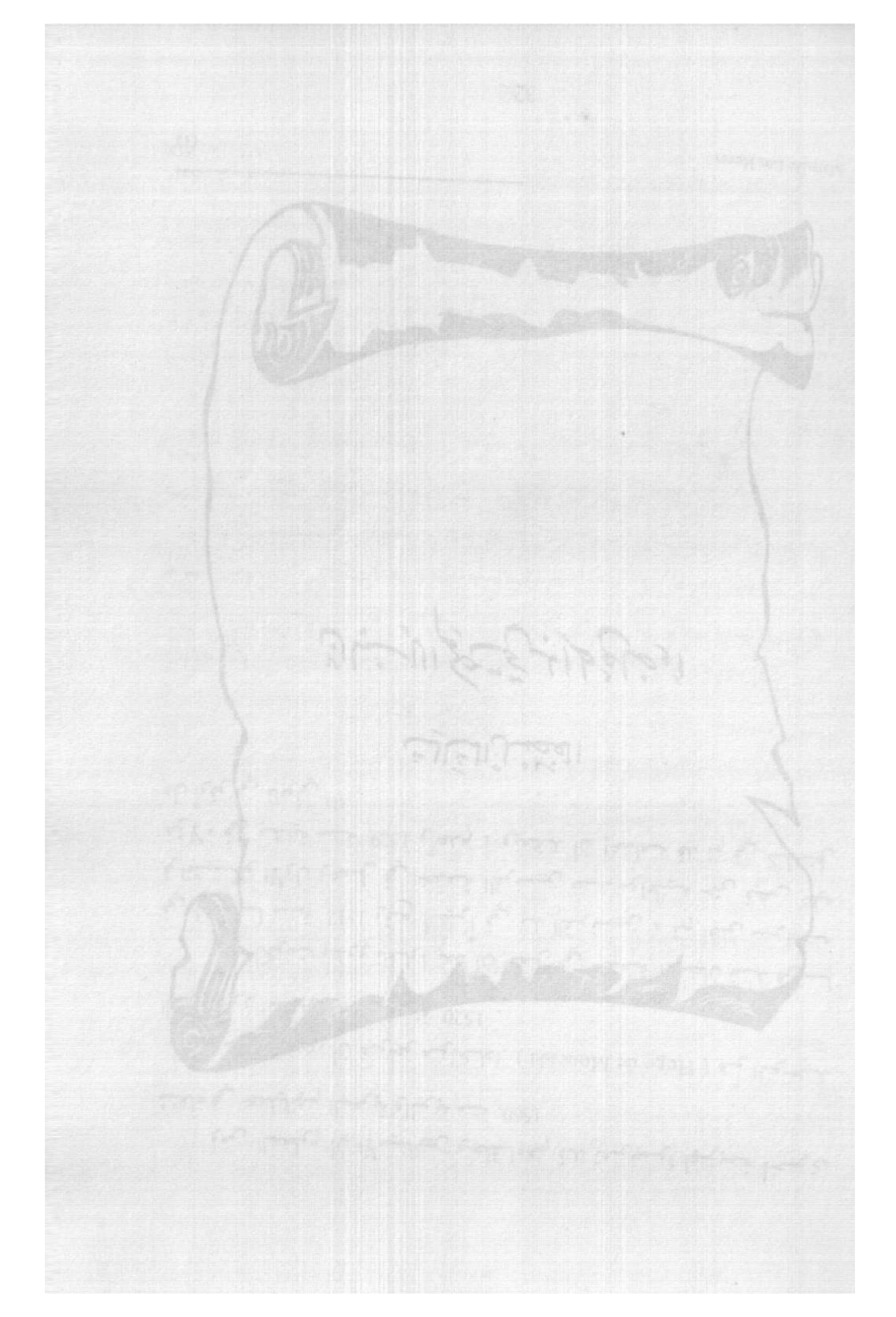
---

(1) Martin De Los Heros.



الفَصْلُ الثَالِث

أُوضاعُ طرابلس تحت حكمِ الإِسْبانْ



لقد تحدثنا عن محاولة قام بها العرب لاسترجاع طرابلس في صيف 1510 . وفي فبراير 1511 أعادوا الكرة من جديد ضد المدينة التي كان يدافع عنها دييجو دي فيرا بقوة قوامها خمسة آلاف رجل . أما المهاجمون فقد كانوا تقريباً 40 ألف رجل ومع ذلك لم يستطيعوا التغلب على المقاومة الباسلة التي أبداها المحصنون المحاصرون . وقد تطاير شرر لغم ألقي من السور فتسبب في مذبحة للمهاجمين وأصاب المسيحيين أيضاً بخسائر فادحة [1] .

إن رسائل قنصل البندقية إلى باليرمو تبعث على الاعتقاد أن الأوضاع قد تحسنت في طرابلس في أواخر 1511 ، ولكن كان لا بد من الاحتياط ضد احتمالات الهجوم الجديد من قبل الأهالي ، والأتراك الذين بدأوا منذ زمن يظهرون على السواحل الإفريقية ، ونحن نعلم أن سفناً تركية

(1) Perali, La guerra di Tripoli del 1511 in un Diario orvietano dell'epoca in (Bibliofilia) XIV pag. 324.

(عثمانية) قد هددت طرابلس سنة 1512 حيث تم الاحتياط بتحصين (الصخرة والقلعة) [1] .

وقد قص علينا (ليون الإفريقي) وهو مسلم تنصَّر بعد أسره ، وعرف بأعماله وآثاره الجغرافية - أنه في سنة 1518 عندما زار طرابلس كانت تستعيد سكانها وأن القلعة كانت مجهزة بأسوار ضخمة ومزودة بمدفعية .

ولكن الأسبانيين الذين كانوا يتباهون باحتلال طرابلس باعتباره حدثاً سعيداً للمسيحية كلها ، لم يغفلوا عن ضمان الاحتكارات التجارية لصالحهم في تلك البقاع ، وبينما كانوا يسمحون للتجار الأسبان بحرية الاستيراد وإعفائهم من الضرائب في موانىء طرابلس وبيجاية فرضوا ضريبة ضخمة بنسبة خمسين في المائة ، علاوة على الرسوم العادية ، على جميع الأنسجة الصوفية المصنوعة في الخارج ، الموردة من البلدان الأخرى إلى أفريقيا [2] .

وقد اشتكى البنادقة - نسبة إلى البندقية - من هذا الإجراء الذي أصابهم منه أضرار ، إلى الملك شارل الخامس سنة 1518 بواسطة السفير كورنارو (Cornaro) .

ولكن الوضع التجاري في طرابلس أخذ ينهار بسرعة ، بسبب هذه الإجراءات الضيقة ، التي قللت من عدد السفن الأجنبية المترددة على ميناء طرابلس ، وبسبب الأوضاع العامة في البلاد وعزلة المدينة ، حيث كان الثوار يمنعون ويعوقون أية حركة منتظمة تتجاوز أسوارها للاتصال بالدواخل والمراكز الساحلية الأخرى ، بينما انتعشت حركة تجارية في الموانىء الصغيرة على الساحل الطرابلسي التي كانت بعيدة عن السيطرة الأسبانية .

ولم تعد المراكب البندقية التي أطلق عليها مراكب بربريا

---

(1) Sanudo, Diarii.
(2) De Mas Latrie, Traites pp. 336 - 342.

(di Barberia) (لأنها كانت مخصصة للزيارات السنوية لهذه الموانىء) تجد من المناسب لها التوقف في طرابلس ، وتحولت إلى الرسو في رأس مصراته ويسمونها (Maxerata) شرقي طرابلس للمتاجرة مع الأهالي .

وفى سنة 1513 عين ملك أسبانيا نائب الملك فى صقلية دون هو جودي مونكادا حاكماً على طرابلس ، بمخصصات قدرها 12 ألف دوكاتي سنوية لمواجهة النفقات اللازمة [1] .

كانت طرابلس في ذلك الوقت تابعة لصقلية ، وكانت نائب الملك فيها قد أوفد سنة 1512 لحكم طرابلس باسمه ، النبيل الصقلي جيوفاني فرانشيسكو باترنو الذي أقام فيها عدة أعوام ، وعرف بدفاعه عن المدينة .

وفي 16 أكتوبر 1511 وزع في كاتانيا منشور أعلن فيه نائب ملك صقلية هوجو دي مونكادا ، أنه سوف يقدم لكل من يرغب في السفر والسكنى في طرابلس (المساكن الملائمة) وتخصص له الأراضي المناسبة للزراعة ويعفى من كل ضريبة أو رسوم لمدة عشرة أعوام ، كما يبرأ من كل تهمة مدنية أو جنائية عدا الجرائم الخطيرة [2] .

وبموت فرديناند الكاثوليكي سنة 1516 وفقدان الكاردينال اكسينيس (Ximenes) سنة 1517 أهملت الحملات على افريقيا بالنظر إلى انهماك شارل الخامس في صراعاته في إيطاليا والمزاحمة مع منافسه فرانشيسكو الأول ملك فرنسا .

ولا نعلم إلاَّ القليل عما كان يجري بطرابلس خلال هذه الفترة وأن خسائر فادحة قد سجلت في وباء الطاعون الذي حل بها سنة 1525 .

وفي إطار الأوضاع العامة في طرابلس والسواحل المتاخمة لها من

---

(1) Sanudo, Diarii.

(2) G. Longo, La Sicilia e Tripoli, Catania 1912.

الشمال الإفريقي ، يجدر التنويه بحملة ناجحة قام بها دون هوجو مونكادا ـ أميرال أسبانيا منذ سنة 1518 ـ ضد جزيرة جربة في سنة 1520 وكان تحت امرته مائة شراع و 13,500 من المشاة وألف من الفرسان .

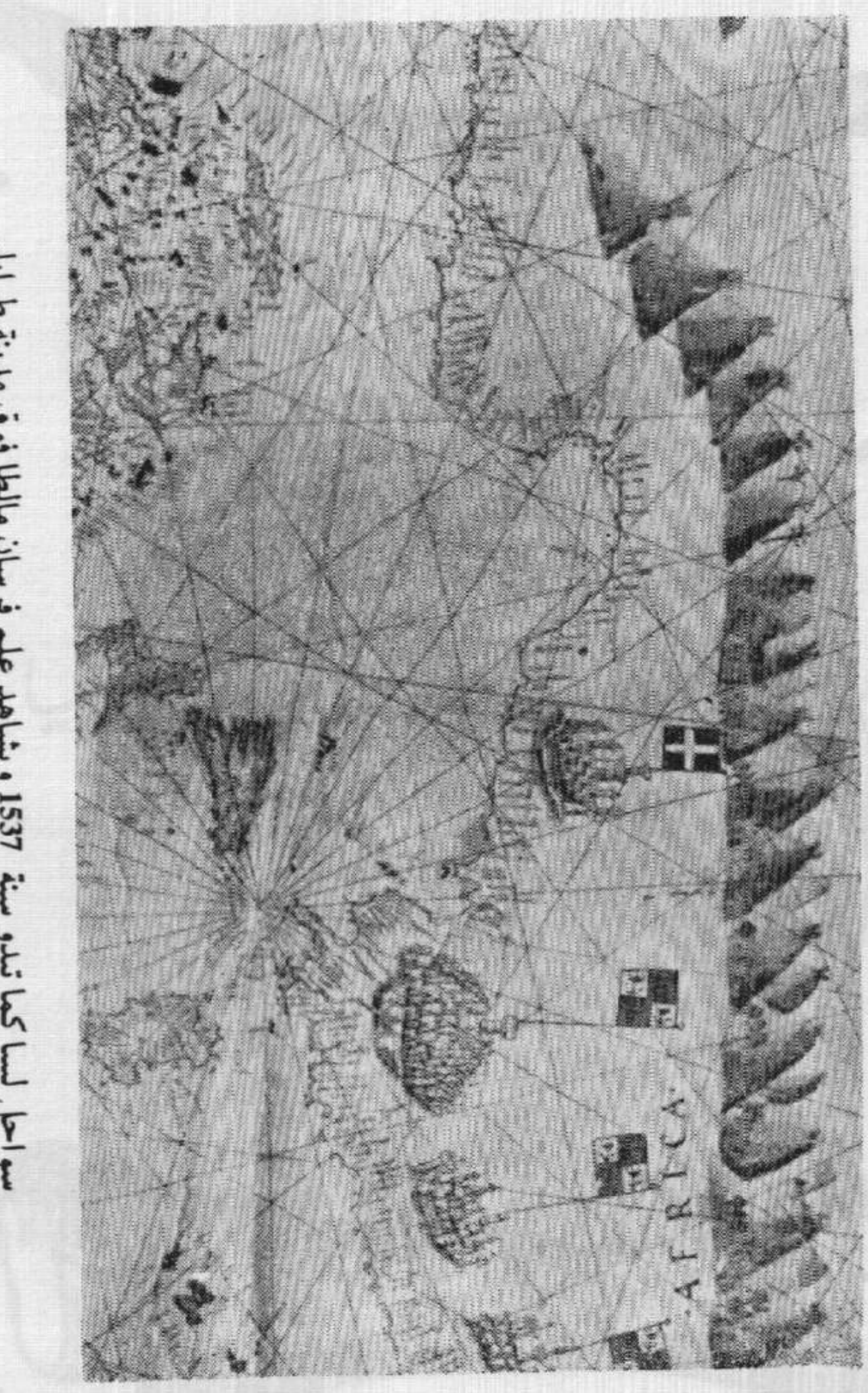
وكانت الفرقة التي تقدمت الزحف على الجزيرة قد هوجمت وطوقت من قبل العرب ، وخسرت (600) رجل وأوشكت على الإتلاف الكامل ، ولكن نائب الملك لم يذهل ويفقد صوابه ، وأعاد الهجوم على أعدائه في آندفاعة قوية مدعمة بفرق أخرى ، وأجبر الشيخ على الاستسلام وتوقيع اتفاقية تبعية للملك الكاثوليكي .

أما شيخ طرابلس ، الذي اقتيد أسيراً إلى صقلية ، فقد أطلق سراحه بعد عشر سنوات من أسره . ويبدو أنه منذ سنة 1511 كان العرب النازحون عن طرابلس يضعون عودة الشيخ شرطاً لعودتهم إلى المدينة . ولكن نائب الملك لم يستجب إلى طلب النازحين الطرابلسيين وفكر في تعمير المدينة بالمسيحيين كما سبقت الإشارة إليه ، ثم اقتنع بإطلاق سراح الشيخ واستخدام نفوذه لتهدئة وتسوية الأوضاع السياسية .

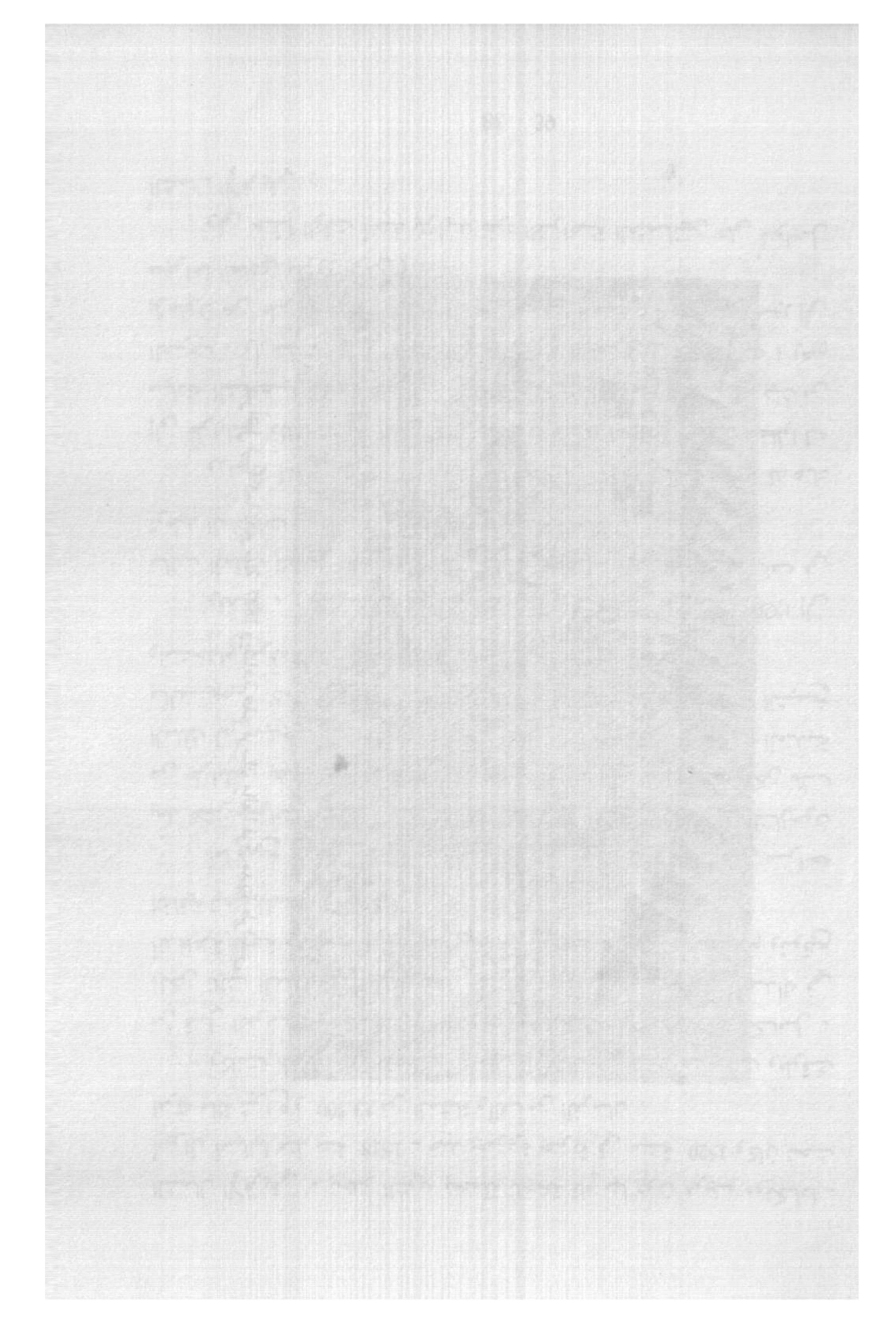
وفعلاً ، فإن رسالة من الملك شارل الخامس في سنة 1520 إلى نائب الملك تتضمن الموافقة على مشروع إعادة الشيخ لإستخدامه في توطيد العلاقات بين المحتلين والأهالي وتهدئة الحالة .

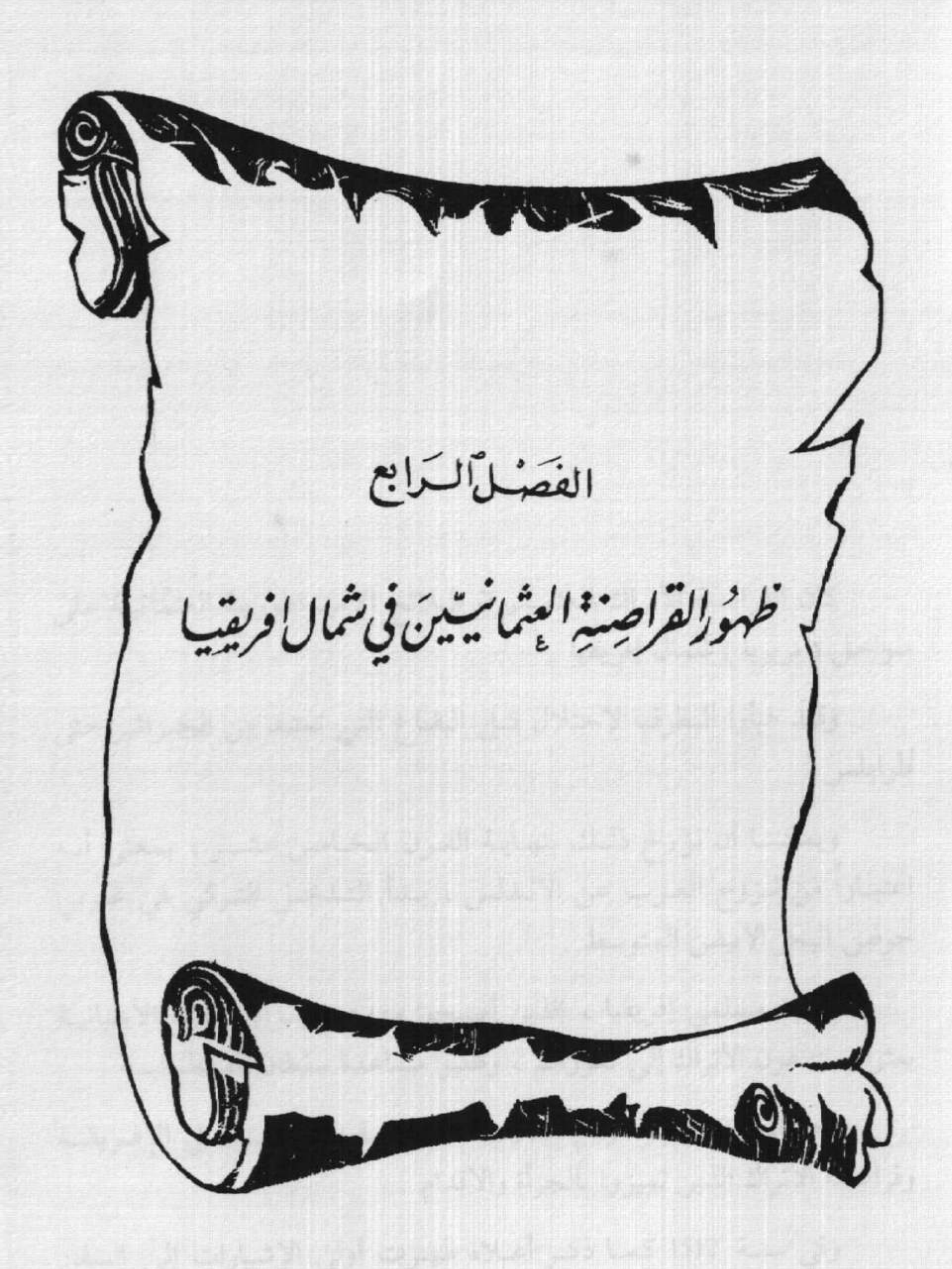
ورسالة أخرى من بالرمو بتاريخ 12 يناير 1523 تخبر (بأنه قد عاد إلى طرابلس ذلك الشيخ الذي كان يحكمها عندما احتلت ، وقد حفظوا له سيادته الشخصية بحيث عاد إلى المدينة سكان أكثر من خمسمائة بيت من العرب ، وأرسلت بعض الأخشاب والمواد الأخرى للإنشاءات ، وهم يؤملون عن طريق هذا الشيخ المحبوب في المدينة عودة الأمور إلى مجراها العادي بمرور الزمن) .

وفي هذا الوقت أخذ يتزايد نفوذ القراصنة العثمانيين على سواحل الشمال الإفريقي .



سواحل ليبيا كما تبدو سنة 1537 ويشاهد علم فرسان مالطا فوق مدينة طرابلس





الفصل الرابع

ظهور القراصنة العثمانيين في شمال افريقيا



كان القراصنة الأتراك العثمانيون طلائع الامبراطورية العثمانية على سواحل (بربريا) شمال إفريقيا .

وقد هيأوا الظرف لاحتلال كل البقاع التي تمتد من الجزائر حتى طرابلس .

ويمكننا أن نؤرخ ذلك بنهاية القرن الخامس عشر ، بمعنى أنه اعتباراً من نزوح العرب عن الأندلس ، بدأ التدخل التركي في غربي حوض البحر الأبيض المتوسط .

بل إن مسلمي إفريقيا ، الذين أصبحوا مهددين بتزايد القوة الأسبانية بعثوا يستدعون الأتراك إلى ثغورهم ، وطلبوا مساعدة سلطان القسطنطينية .

وحوالى 1510 بدأ قيام العلاقات الدائمة بين السواحل الإفريقية وقراصنة الأتراك الذين تميزوا بالجرأة والاقدام .

وفي سنة 1512 كما ذكر أعلاه ظهرت أولى الإشارات إلى السفن

التركية التي كانت تهدد طرابلس التي لم يمض إلاً قليل على احتلالها من قبل الأسبان . وبدأ حينذاك نشاط الإخوة بربروسا . وطبقاً للروايات المتواترة ، فإن أحد أئمة جيش محمد الثاني وكان يدعى يعقوب قد استقر في ميتيلينة (Mithlena) حوالى سنة 1480 ورزق بأربعة أولاد هم عروج ، إسحاق ، إلياس ، وخضر .

وأصبح عروج في مدة قصيرة قرصاناً مرعباً مخيفاً ، وكانت حياته مليئة بالمغامرات ، وأسره فرسان رودس مدة معينة ، ثم أطلق سراحه ، فقصد جربة حيث لحق به أخوه خضر المعروف بخير الدين فيما بعد .

وقد أثار عروج كثيراً من الحديث حوله وأحاطت به شهرة كبيرة أثناء إقامته في سواحل إفريقيا الشمالية ، حيث تطلق عليه المصادر الغربية اسم بربروسا ، وهو الاسم الذي ورثه ، فيما بعد ، أخوه خير الدين ، ويذكره به المؤرخون الغربيون .

وفي سنة 1510 وضع الأخوان نفسيهما في خدمة محمد سلطان الحفصيين في تونس. وحصلا على الإذن باستخدام (حلق الوادي) قاعدة لعملياتهما ، مع الالتزام بتقديم خمس الغنائم إلى السلطان .

ومنذ ذلك الوقت أخذا يجوبان البحر ويغزوان ويهددان الممتلكات الأسبانية في إفريقيا .

وفي سنة 1515 هدد (بربروسا) . طرابلس وفي نفس السنة سجل ظهوره في تونس بثلاث مراكب . وفي عام 1516 احتلا الجزائر وتولى عروج (بربروسا) حكمها .

وذهبت عبثاً ، محاولة الأسبان استرجاع الجزائر ، وقتل عروج بعد سنتين ، من قبل فرقة فرسان أسبانية غربي تلمسان ، فخلفه في الحكم أخوه خير الدين (بربروسا) ووضع نفسه تحت حماية سلطان القسطنطينية

سليم الأول ، وحصل على مساعدات بحرية ومتطوعين من الشرق .

وقد سعى خير الدين سنة 1525 إلى الاستيلاء على جربة كما ضايق حلق الوادي . وكانت مراكبه العديدة التي كانت تبلغ في بعض الحالات ثمانين سفينة تغزو سواحل إفريقيا الشمالية وتعرقل التجارة .

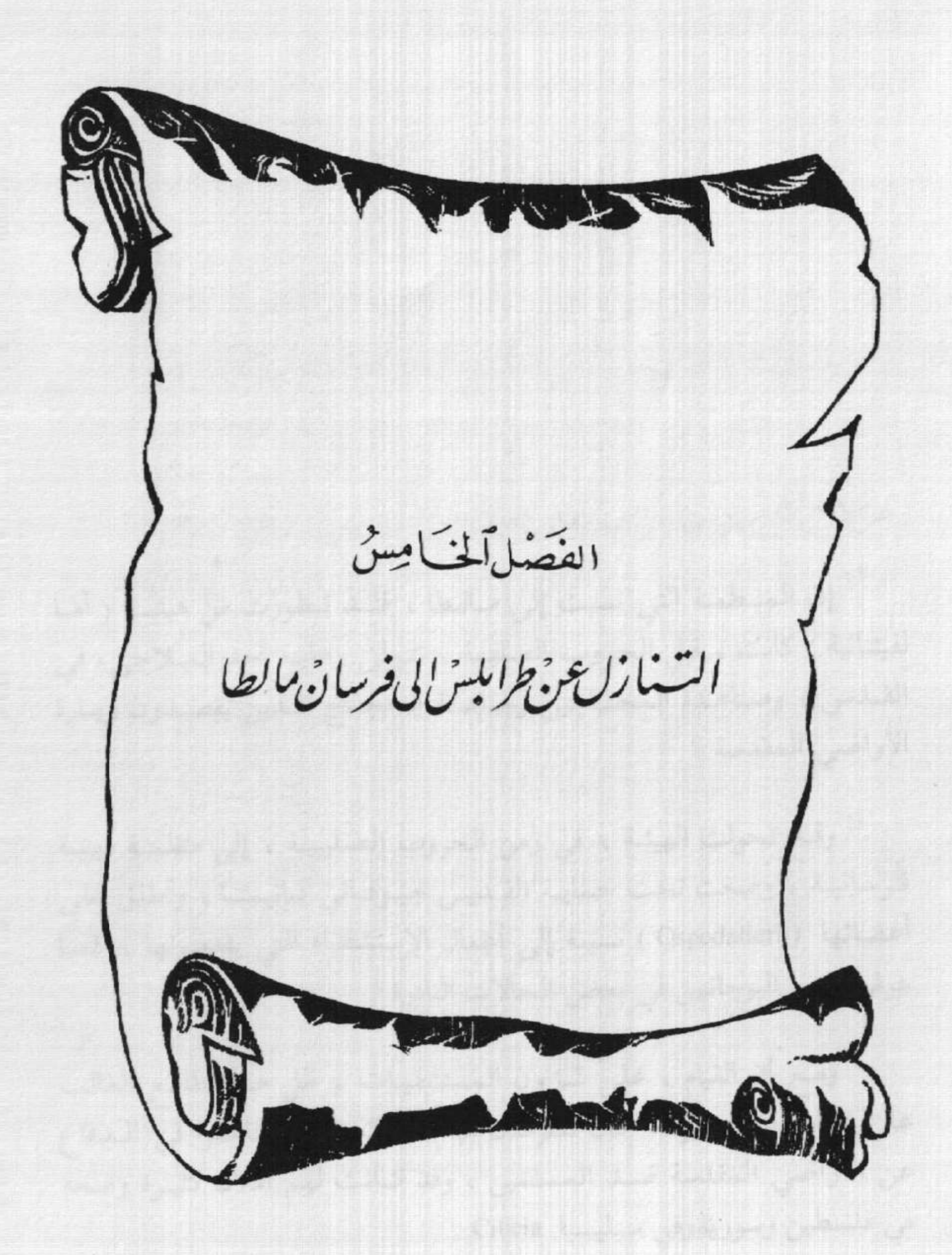
وكان النشاط الكبير الذي يبديه القراصنة الأتراك قد زاد من صعوبة الوضع وتعقيده بالنسبة للأسبان في إفريقيا .

وكانت طرابلس نفسها في أوضاع سيئة ، ففي سنة 1526 كان الشيخ الذي أظهر الأسبان ثقة فيه قد فرّ من المدينة وانضم إلى الثوار في تاجوراء ، وساد الخوف من هجوم يقوم به الأسطول التركي .

وقد ترددت شائعات أكثر من مرة خلال الفترة الممتدة من 1517 إلى 1529 عن إرسال حملات من السلطان ضد الأسبان في طرابلس .

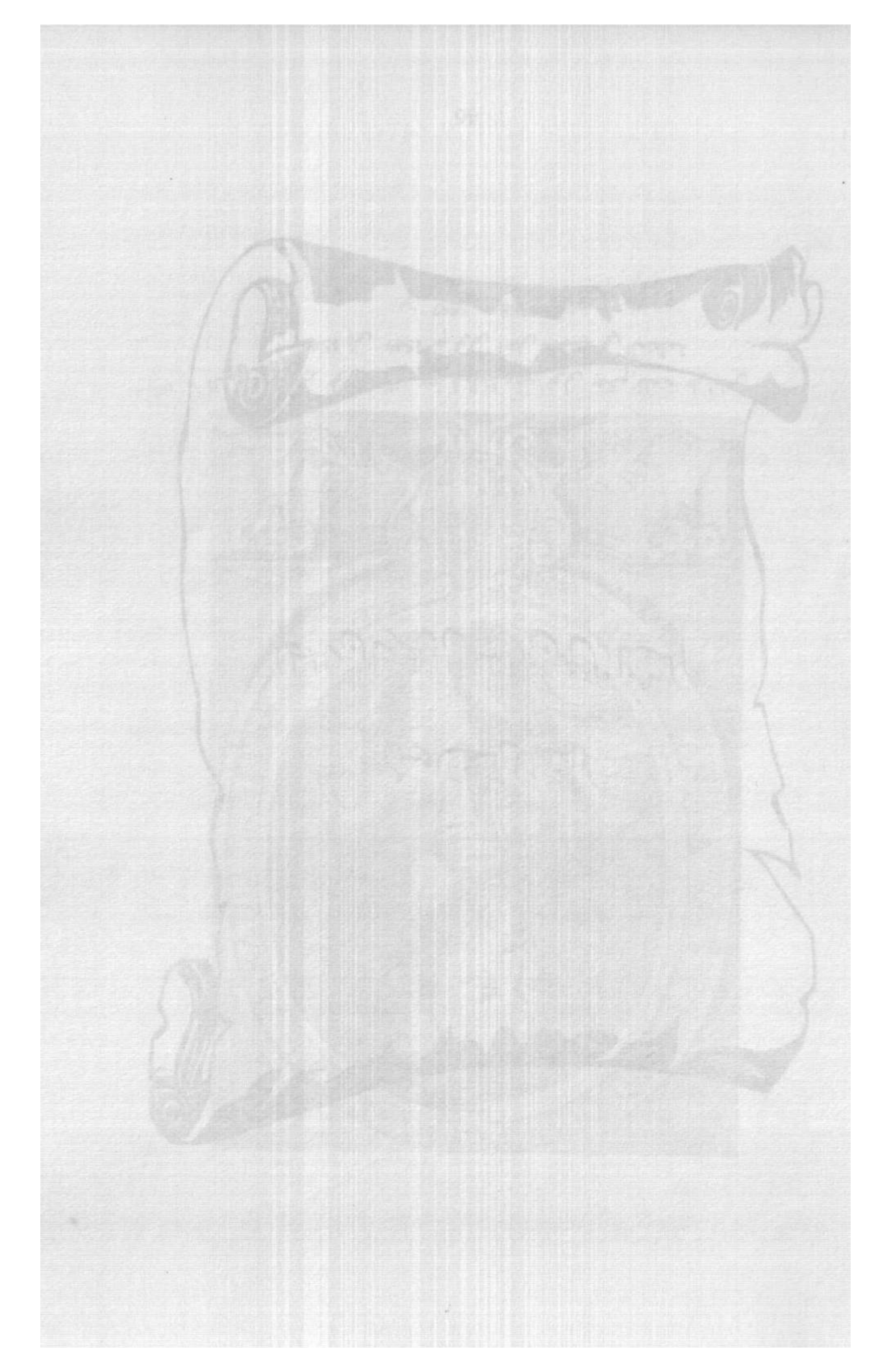


المرشد الأكبر فراجيوفاني دي فاليتا وقد تولى حكم قلعة طرابلس من 1546 إلى 1549 ثم تولى أعلى منصب في المنظمة من 1557 — 1568



الفصل الخامس

التنازل عن طرابلس الى فرسان مالطا



إن المنظمة التي نسبت إلى مالطا ، قد تطورت من هيئة (أمالفيتانية) كانت ، قبل الحروب الصليبية ، تتولى رعاية أحد الملاجىء في القدس ، ومساعدة المحتاجين وخاصة الحجاج الذين يقصدون زيارة الأراضي المقدسة .

وقد تحولت الهيئة ، في زمن الحروب الصليبية ، إلى منظمة دينية فرسانية ، وضعت تحت حماية القديس جيوفاني باتيستا ، وأطلق على أعضائها (Ospedalieri) نسبة إلى أعمال الاستشفاء التي يقدمونها ، كما عرفوا باسم اليوحانيين في بعض الحالات النادرة .

ومع أن القيام ، على شؤون المستشفيات ، ظل هو الطابع الغالب على نشاطاتهم ، غير أنه كان للفرسان مهام عسكرية ، وساهموا في الدفاع عن الأراضي المقدسة ضد المسلمين ، وقد كانت لهم أملاك كثيرة واسعة في فلسطين وسوريا وفي سيليسيا Cilicia .

وعندما طردهم صلاح الدين سنة 1187 من القدس ، مع بقية الصليبيين ، استقروا في عكا (القديس اكرى) حتى سنة 1291، وطردوا أيضاً من آخر هذه الأجزاء في الأراضي المقدسة ، فانسحبوا إلى قبرص ، واحتلوا حوالى سنة 1306 جزيرة رودس ، والجزر المجاورة لها ، وأقاموا دولة حقيقية تحت حماية البابا وأمراء المسيحية .

وبعد قرنين أي في 26 ديسمبر 1522 دخل سليمان الأول إلى رودس التي دافع عنها الفرسان ببسالة بعد حصار عنيف دام ستة أشهر .

وترك الفرسان هذه الجزيرة الجميلة في 2 يناير 1523 ، والتجأوا إلى شيفتافكيا وتم تعيين مركز دير المنظمة في فيتيربو Viterbo التي تنازل عنها البابا للمنظمة .

وظلت فرقة الأسطول في شيفتافكيا حيث كانت تقوم بعمليات جريئة في ملاحقة القراصنة المسلمين .

ولم يكن هذا الركود التي اتسمت به أعمال المنظمة أثناء إقامتها في إيطاليا مما يتلاءم مع تاريخها الطويل الحافل بالصراع ضد أعداء الصليب .

وكان الفرسان يرغبون في استعادة رودس أو الاستقرار في أية جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط حيث يمكنهم أن يستأنفوا نشاطهم الصليبي .

وفي أكتوبر 1523 أرسل المرشد الأكبر إلى شارل الخامس وفد يطلب منحهم جزيرة مالطا .

وقد أبدى الامبراطور ترحيبا بهذا الطلب ، واشترط أن تتولى المنظمةمهمة الدفاع عن قلعة ومدينة طرابلس .

وقد أرسل ثمانية من الفرسان لزيارة جزيرة مالطا وجوزو وطرابلس

وقدموا تقريراً عن أحوال القلعة والسور وميناء طرابلس [1] .

وقد ذكر المبعوثون الثمانية أن المدينة تقع في مكان صحي ويحيط البحر بثلثي مساحتها ، أما الثلث الباقي فيحيط به سور دائري طوله 3728 خطوة . وأن هناك مسافة من السور تبلغ حوالى 200 خطوة قد دمرت بغرض الاستفادة من موادها في تدعيم تحصينات القلعة .

أما الأسوار فيبلغ ارتفاعها قصبتين ونصف وأنها مهددة في أكثر من مكان بالانهيار والخراب . وقد جرت حمايتها بواسطة أسوار إضافية لا تصمد للمدفعية ، وهي بلا أبراج ،وخنادقها ضيقة وليست عميقة .

أما المنازل والمنشآت (من المؤكد أنها كانت كلها مدمرة نتيجة الهجوم الواقع سنة 1510) . أما القلعة ، فهي تكاد تكون مربعة الشكل ، وذات برجين أو ركنين حادين يواجهان المدينة ، وهي في حاجة إلى الترميم والإصلاح سواء فيما يتصل بالأساسات التي تآكلت بتأثير البحر ، أو تلبيس الأسوار ، وأن الأسوار مكونة من تربة رملية ويعتقد أنها لن تصمد للمدفعية العنيفة . يضاف إلى ذلك أن القلعة والمدينة تتحكم فيهما هضبة أو جبل صغير يقع إلى الجانب الجنوبي الشرقي أما الميناء فهو صغير، وليس مضموناً تهدده الرياح الشرقية وتقيه بعض الجزر الصغيرة من الجهة الغزبية .

وطرابلس مزودة بالمياه وأن هناك بئراً توجد بقرب القلعة من الجهة الشرقية ، وأن السكان قد انخفضوا إلى ستين عائلة عربية وهم يملكون 25 حصاناً للدفاع عن المدينة ، والقيام بهجمات ضد الأعداء ، وهم مخلصون للأسبان أما الدخل فيتمثل في نسبة العشرة بالمائة التي تجبيها الجمارك على البضائع وضريبة الرقيق (وهي دوكاتو لكل رأس سواء في الدخول أو الخروج) .

---

(1) Bosio : Istoria della S. Religione, Gerosolimitana III.

وكـان عـلى نـائب مـلك صـقـليـة دون أتـوري بيـنيـاتـيللي Don Ettore Pignatelli أن يـدير وسـائل المحـافظة والقيـام بشؤ ون طرابلس وهو يتلقى من الامبراطور مبلغ 12 ألف سكودو سنوياً للنفقـات العاديـة ، أما العتـاد والنفقات الإضـافية الـطارئة فكـان يتولاهـا الامبـراطـور . وكـانت في القلعة مدافع كثيرة .

وقد ترددت المنظمة في قبـول العرض بإلحـاق طـرابلس إلى سيطرتهـا الأمر الذي كان شرطاً ثقيلاً مقروناً بمنح مالطا . وقد نصـح المبعوثـون الذين زاروا طـرابلس سنـة 1524 ، المـرشـد الأكبـر ، بعـدم قبـول هـذه المهمـة البـاهظة ، ومـع ذلك ، فكـان لا بد من الإذعـان لإرادة الامبراطـور ، وعدم إضـاعة الفـرصة الـطيبة التي تهيء للمنـظمة تنـظيمـاً يتـلاءم مـع تقـاليـدهـا وأهدافها .

وقـد استغـرقت المفـاوضـات للوصـول إلى اتفـاق نهـائي مـدة طـويلة لتـوالي بعض الأحداث التي أذهلت شـارل الخامس وصـرفته عنهـا (حـرب إيطاليا ورومـا 1527) وأخيراً وقـع الامبراطـور في 24 مارس 1530 المـرسوم في كاستل فرانكو مينيتو وقد ورد فيه :

« رغبـة منـا في تـدعيم واستقـرار الـديـر والمـنظمـة والهيئـة الـدينيـة لمستشفيـات القديس يـوحنا واستنـاداً إلى رغبتنا في أن ينـال المرشـد الأكبر الجليل المبجل ورؤ ساء الهيئة وقادتها وفرسانها مقراً ثابتاً ومركزاً محدداً . .

وانطلاقاً من محبتنا والعطف الذي نحمله لهذه الهيئـة ، فقد قـررنا عن طيب خاطر التنـازل إلى المرشـد الأكبر والمـنظمة عن مقـر دائم ثابت ، وإن مرسومنا هذا يعتبر ساري المفعول على جميع العهـود القادمـة بالنسبـة إلينا ، وإلى ورثتنـا ، وجميع خلفـائنا في مملكتنـا ، نتنـازل ونمنـح بكـامـل الإرادة الحـرة إلى المرشـد الأكبـر ، إلى الـدين ، إلى المنـظمـة المعـروفـة بـاسم القديس يوحنا الجروسو لوميتانو اقطاعاً نبيلاً دائماً ، حـراً ومشمولاً بالإعفاء،

المدينة ، والقلعة ، المواقع والجزر التابعة إلينا في طرابلس ومالطا وجوزو مع جميع البقاع التابعة لها .

وإقراراً منهم باقطاعنا ، عليهم أن يقدموا صقراً كل عام عند الاحتفال بعيد جميع القديسين . بيد نائب الملك [1] .

وفي يونيو 1530 كان مندوبو المرشد الأكبر الذي انتقل في هذا الوقت إلى نيس ثم إلى سيراكوزة ، قد استلموا السيطرة على مالطا ، واتجهوا إلى طرابلس ، حيث استلموا من فرانشيسكو فلاسكيز Francesco Velasquez نائب الحاكم كشفاً بالمدفعية التي كانوا ملزمين بإرجاعها إلى الامبراطور ، وسرعان ما وصلت إلى طرابلس سفينتان تحملان العتاد والمؤونة وقافلة من الفرسان ، وفرقة من الجنود تحت قيادة جاسباري دي سانجوسا Gaspare di Sanguessa أول حاكم يوفد من المنظمة إلى طرابلس .

وهكذا انتهى بهذه الطريقة الحكم المباشر للأسبان الذي دام عشرين عاماً فقط في طرابلس .

فإذا أخذنا بعين الاعتبار المعنى التاريخي والنتائج المترتبة على هذه السيطرة ، أدركنا أنه كان مجرد حادث ضمن الدور الذي مثلته أسبانيا بحظ قليل من النجاح في شمال إفريقيا خلال القرن السادس عشر .

إن أسبانيا كما لاحظنا في بداية هذه الدراسة ، كانت مدفوعة بطموحها إلى التفوق على كافة الدول في السيادة على البحر الأبيض المتوسط كما كانت مدفوعة بالحركات الدينية في توسعها واحتلالها للمراكز الرئيسية في سواحل الشمال الإفريقي .

ولكن مشاكل أوروبا والقوى والوسائل التي استنفدتها اكتشافات

---

(1) Bosio, Istoria ecc.

العالم الجديد ، قد حالت دون تأكيد هذه السيطرة بشكل دائم .

فإذا استبعدنا هذه المشاكل التي كانت تستنفد الطاقات الأسبانية فلا يبدو لنا أن أسبانيا وحكامها كانت لهم خطة استعمارية منظمة ومضمونة ، كانوا يفكرون في سلسة من الحاميات Presidios على الساحل دون التوغل في الداخل .

وقد كان الكاردينال اكسمينيس Ximenes نفسه في سنة 1509 يخطط لتأسيس هيئات عسكرية أسبانية على غرار هيئة فرسان رودس في وهران وبيجاية وطرابلس .

وقد جاء في رسالة الملك فرديناند إلى بدرو نافارا في مايو 1510 تأييده لوجهة النظر القائلة بإسكان المسيحيين في وهران وبيجاية وطرابلس أخذاً بالفكرة القائلة بأنه لا يمكن الاحتفاظ بها طويلاً بالإبقاء على سكانها العرب [1] .

ويمكن أن يقال بصفة خاصة إن ذكر الاحتلال الأسباني لطرابلس ظل مقروناً أو مرتبطاً بإعادة تحصين وبناء القلعة .

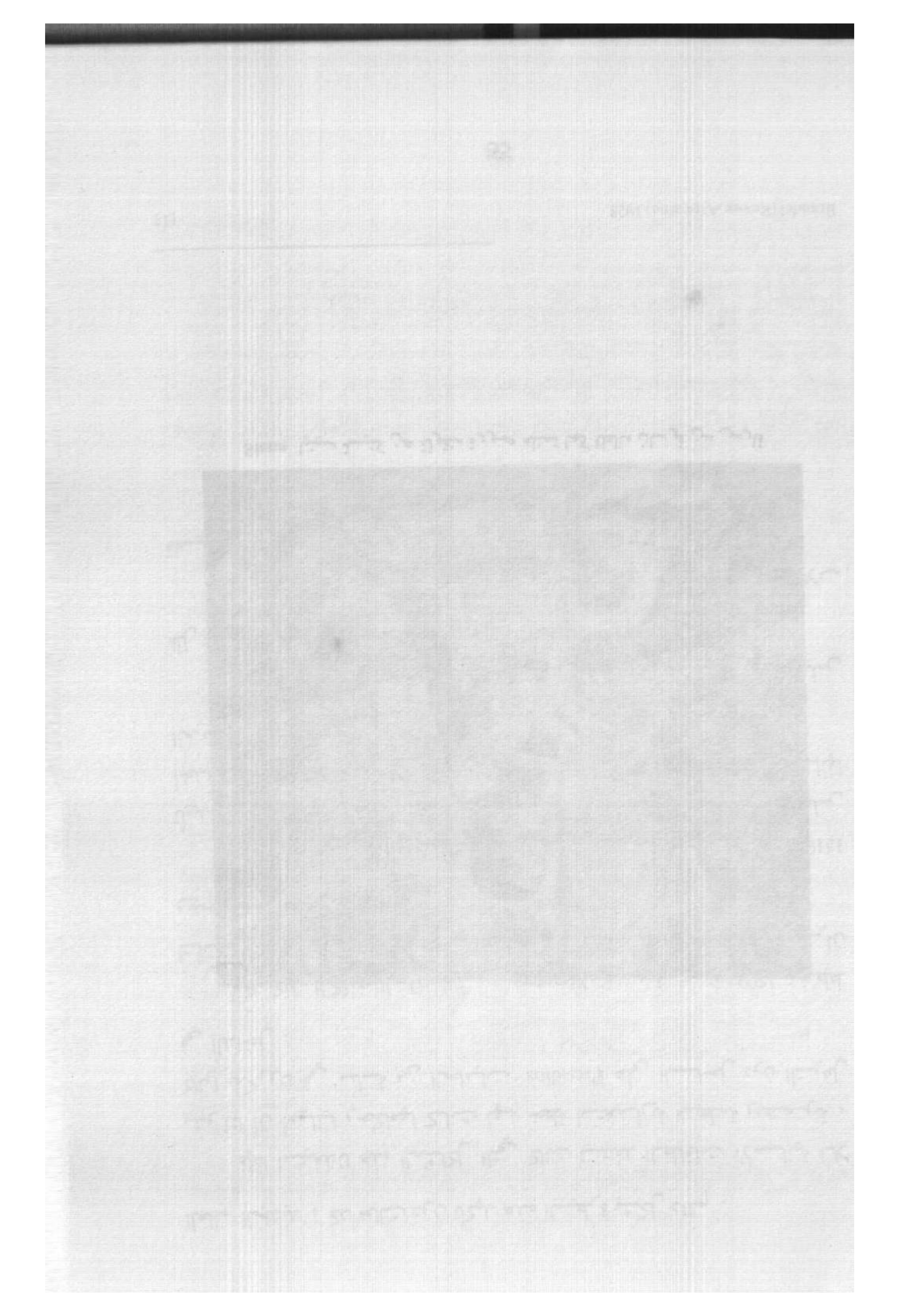
أما دواخل طرابلس الغرب ، فلم تطأها أقدامهم أبداً إلاّ في حملات قصيرة ضد القرى الساحلية القريبة من طرابلس .

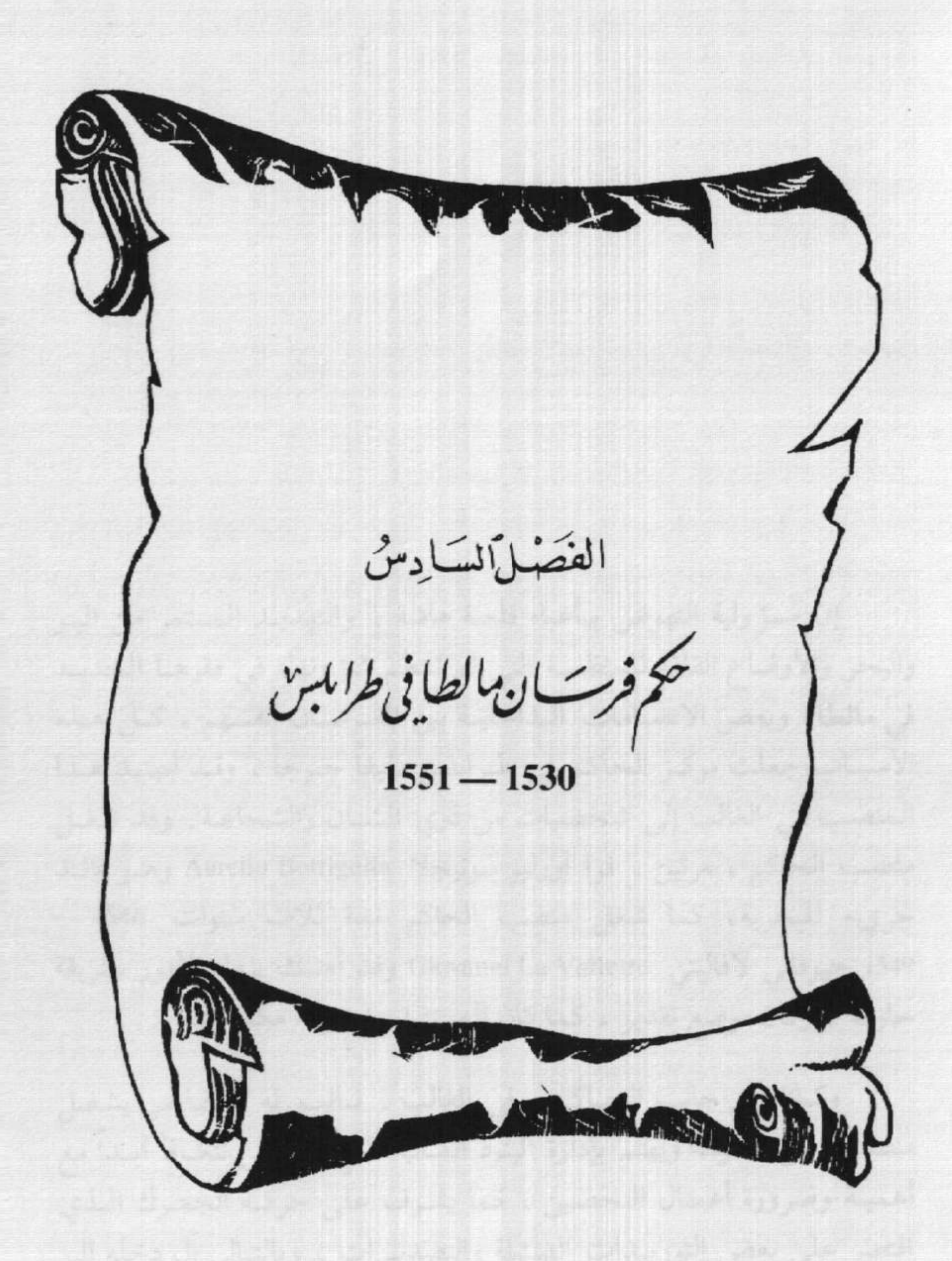
---

(1) Braudel (Revue Africaine) 1928.



فارس من فرسان مالطا كما تمثله صورة منقولة عن كنيسة سينيا **Siena**

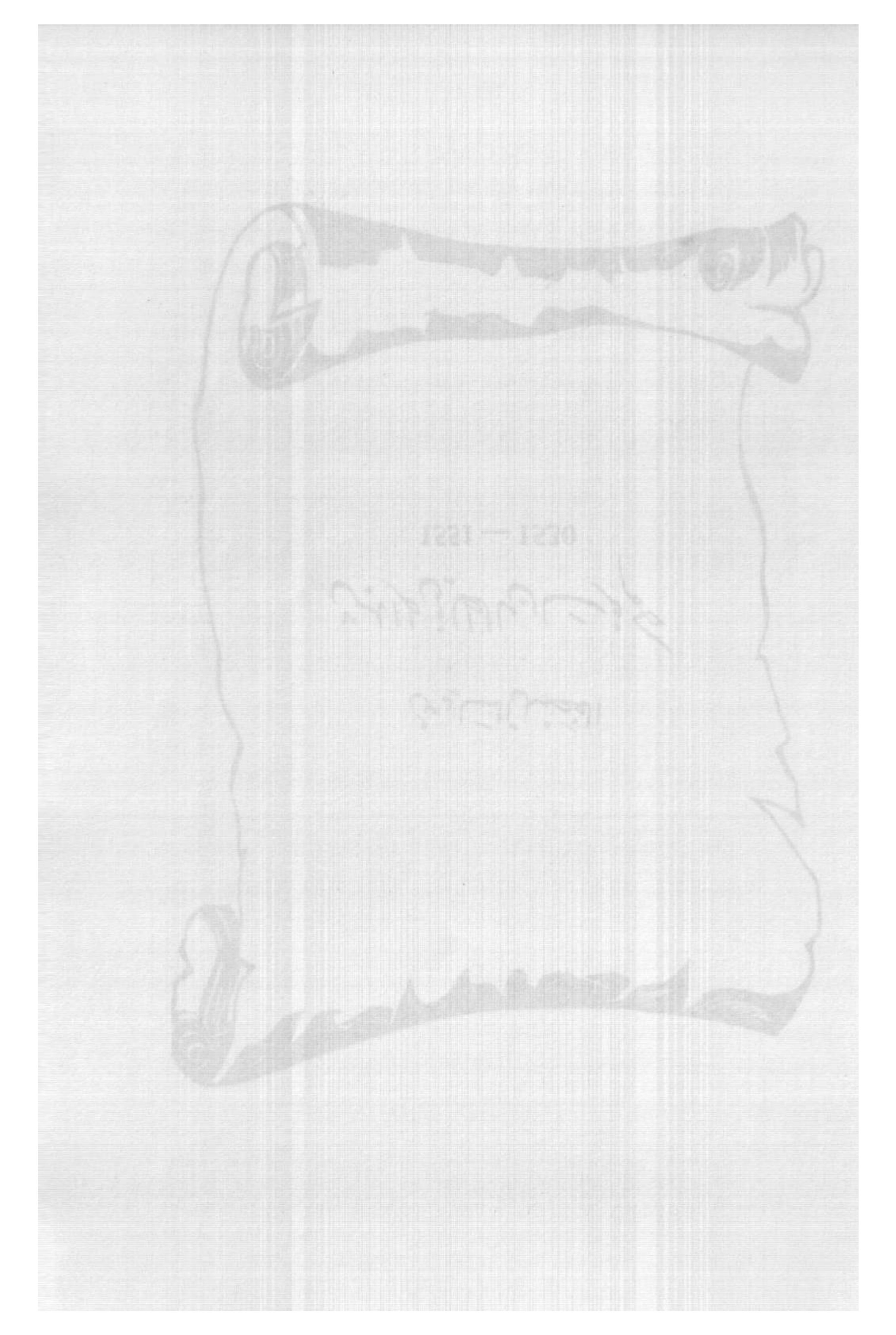




الفصل السادس

حكم فرسان مالطا في طرابلس

1530 — 1551



إن مسؤولية النهوض بأعباء قلعة هامة ، والتهديد المستمر من البر والبحر والأوضاع القلقة للمنظمة التي لم تنتظم شؤونها في مقرها الجديد في مالطا، وبعض الانقسامات الداخلية بين الفرسان أنفسهم ، كل هذه الأسباب جعلت مركز الحاكم في طرابلس دقيقاً حرجاً ، وقد أسند هذا المنصب في الغالب إلى شخصيات من ذوي الشأن والشجاعة. وقد شغل منصب الحاكم ، مرتين ، فرا أورليو بوتيجلا Aurelio Bottigella وهو قائد جريء للبحرية، كما شغل منصب الحاكم مدة ثلاث سنوات 1546 — 1549 جيوفاني لافاليتي Giovanni La Vallette وقد أمسك بزمام الأمور بطريقة حازمة ، وكان موضع تقدير ، كما كان المستقبل يدخر له مكاناً رفيعاً .

وكان إلى جانب الحاكم ، في الغالب ، نائب له ، وفارس يشغل منصب أمين الخزانة ويهتم بإدارة البنود المالية التي لم تكن تتكافأ أبداً مع أهمية وضرورة أعمال التحصين ، كما يشرف على حركة الجمرك الذي اقتصر على بعض التوريدات الضئيلة والتصديرات ، وبالتالي آل دخله إلى

شيء بسيط .

وكان يقيم في القلعة في العادة ، خمسون من الفرسان ومائتان تقريباً من الجنود ، بينهم اثنا عشر مدفعياً .

أما المدينة فقد كانت تتولاها حامية من الأهالي لا يزيد عددها على مائة بين فرسان ومشاة ، وقد نقص عدد السكان ـ كما يبدو ـ إلى ثمانين أسرة .

أما التبادل التجاري مع الأهالي فقد كان يجري في الأسواق وهو ما يطلق عليه في الوثائق (Coco) .

لقد تعرضت طرابلس إلى متاعب كثيرة من جراء الهجوم الذي وقع سنة 1510 ، وكما سبق أن أشرنا ، فإن جزءاً من السور قد هدم لاستخدامه في تدعيم القلعة التي كانت تبدو في حالة لا تصمد معها إلى أي هجوم قوي .

أما الركنان أو البرجان اللذان يقعان عند طرفي الجانب المواجه للشرق ، فقد أطلق عليهما اسم القديس جورج (نحو المدينة) وسان جاكومو (نحو البحر) بينما أطلق على الساحة الواقعة بينهما اسم القديسة بربارا Santa Barbara أما داخل القصر فقد كان يضم بيت الحاكم ، والفرسان والجنود والمخازن ، كما أن هناك ـ بلا شك ـ كنيسة يعتقد بأنها مسماة باسم سان ليوناردو ، كان في خدمتها أربعة من القساوسة التابعين للمنظمة .

وكان هناك باب رئيسي إلى جانب برج سان جورجو يصل القلعة بالمدينة .

أما الميناء فقد توفرت له حماية طيبة بوجود البرج المسمى (سان بيترو) والذي يقوم قرب الجمرك في نقطة التقاء السور الشمالي الشرقي

بالسور الشمالي الغربي ، كما كان هناك حصن آخر ، يسمى كاستيلاجو (Castellajo)[1] يحمي مدخل الميناء في أقصى أطراف الجزر .

إن سلطة حاكم طرابلس (كما هي أيضاً في عهد الحكم الأسباني) لا تمتد أبعد من نطاق المدينة ، وكانت بعض القرى الواقعة على الساحل الغربي مثل جنزور والماية وزواغة (طرابلس القديمة) تدفع بطريقة غير منتظمة الضريبة في الأعوام الأولى .

وفي تاجوراء التي تقع على مسافة اثني عشر كيلو متراً شرقي طرابلس تركزت ، كما أوضحنا ، مقاومة العرب والقراصنة الأتراك الذين كانوا يتطلعون إلى استرجاع طرابلس ويثيرون القلاقل والمضايقات في وجه الحامية المكونة من الفرسان .

وفي ذلك الوقت أصبح خير الدين (بربروسا) سيد الجزائر وتزايدت قوته وصار فيما بعد قائداً عاماً لكافة الأساطيل العثمانية وكان يعترض في جرأة وإقدام طريق أسطول البندقية والامبراطورية وكان يقوم بغارات متتابعة ضد السواحل الإيطالية والأسبانية ، ويزود بالسلاح والمجندين نائبه الذي يسمى هو الآخر خير الدين ويحمل في خيلاء لقب ملك تاجوراء .

وقد حوّل بلدة تاجوراء إلى قلعة حصينة وأقام برجاً لحماية ثغرها الصغير الذي كانت تؤمه وترسو فيه سفن القراصنة .

وكان سلطان تونس مولاي الحسن الذي تولى العرش سنة 1526 يدعي حقوقاً شرعية للسيادة على طرابلس الغرب ، وكان على علاقة حسنة مع منظمة فرسان مالطا ، وأبدى عدة محاولات لطرد الأتراك من تاجوراء

---

(1) Rossi, Il dominio dei cavalieri ecc.
Romanelli, Scavi e Scoperte nella citta di Tripoli, in (Not. Arch. Min Colonie).
Aurigemma, Il Castello.

وتسليمها إلى الفرسان حكام طرابلس [1] .

وقد قاد أوريليو بوتيجلا Aurelio Bottigella الذي عهد إليه بحكم طرابلس سنة 1535 حملة ناجحة ضد تاجوراء .

أما خلفه غارسيا كورتس Garcia Cortes فقد اصطحب معه من مالطا ، سنة 1533 مهندس المنظمة مايسترو بشينو Piccino وهو من فلورنسا ، وكان مكلفاً بدراسة حاجات القلعة إلى التحصينات العاجلة .

وقد تم فعلاً تدعيم الأوضاع الدفاعية في القلعة خلال الأعوام التالية ، في عهد الحاكم سخلنج Schiling .

وفي هذه الأثناء ، مات في مالطا المرشد الأكبر ليزدي أدامو Lisde Adamo 1533 ، وأصبحت أوضاع طرابلس مهددة بالخطر بعدما احتل خير الدين (بربروسا) تونس، في شهر يونيو من العام التالي ، وأرسلت جماعة من الفرسان إلى طرابلس لتدعيم حاميتها في ديسمبر 1534 .

وكان الخطر من وجود (بربروسا) في تونس واضحاً جداً حتى وجد شارل الخامس نفسه مضطراً إلى أن يقود بنفسه حملة قوية ضد تلك القلعة المنيعة ، وقد شاركت فيها منظمة فرسان مالطا بإرسال الرجال والسلاح ، وهزم (بربروسا) وطرد من تونس ، وأعيد إلى العرش السلطان الحفصي مولاي الحسن (يوليو عام 1535) .

أما (خير الدين تاجوراء) الذي يسنده ويعاضده المغامرون من القرصان الذين يتدفقون عليه من كل مكان ، وكان بعضهم مرسلاً إليه من (بربروسا) ، فكان يعمل على تشديد الضغط على طرابلس ، واستطاع أن

---

(1) Sanudo Diarii.

يشيد برجاً سمي برج القيادة أو القائدة (Alqaide) على بعد ميل فقط من القلعة .

كان الحاكم في ذلك الوقت فرا جورج سخلنج وكان أحد قادة البحرية الشجعان .

وقد حصل على نجدة أرسلت إليه من مالطا ، وقام صيف 1536 تحت قيادة بوتيجلا Bottigella بهجوم استولى فيه على البرج، وهزم خير الدين ويحتمل أن يكون قد قتل في تلك الأثناء. ومن المؤكد أنه لم يظهر له ذكر فيما بعد . وقد خلفه في مكانه حوالى 1539 في تاجوراء زعيماً وقائداً للثوار مراد آغا ، ويسميه كتاب العصر Morataga, Muradaga .

أما الأخبار التي رددها المؤرخون العرب حول وصوله ، فقد كانت مفعمة بالخيال ، وهي تقص علينا أنه بعد احتلال الأسبان لطرابلس سنة 1510 قام وفد من تاجوراء بالسفر عن طريق البحر إلى القسطنطينية سنة 926 هجرية 1519 — 1520 طلباً لنجدة ومساعدة السلطان وعندما وصل هذا الوفد إلى القسطنطينية تعجب الأتراك من مسلك أعضائه وسألوهم عن المكان القادمين منه فأجابوا بأنهم من طرابلس الغرب وأنهم قدموا إلى القسطنطينية التماسا لمعونة السلطان .

وقد استقبلهم السلطان وأصغى إلى مطالبهم مستخدماً في الترجمة بينه وبينهم المسيحي المسلم (أولوج) مراد آغا الذي كان يعرف اللغة العربية ، وقد أعاد الوفد صحبة مراد آغا نفسه الذي نزل بطرابلس واعترف به رئيساً أو زعيماً على سكان غريان سنة 1952 (1545 — 1546) [1] .

ويخبرنا بوزيو (Bosio) أنه في سنة 1539 أغار (بربروسا) على المياه الإيطالية وأن مراد آغا نائبه (كاهيته) قد استحثه وألح عليه للقيام

---

(1) العياشي . ابن غلبون . النائب .

بالاستيلاء على طرابلس .

وفي سنة 1539 عقب المرة الثانية التي تولى فيها أورليو بوتيجلا الحكم ، جاء إلى طرابلس فرناندو دي براكامونتي وكان يشغل في ذلك الوقت منصب المرشد الأكبر جيوفاني دي هوميدس Fra Giovanni di Homedes الذي أخذ يسعى لدى شارل الخامس ، ويلح على أهمية طرابلس ، وأوضاعها الدفاعية الضعيفة ، وطلب منه (إما أن يساعد صاحب الجلالة في تسوير طرابلس من كل جهة بأسوار قوية حصينة حديثة ويحيطها بأبراج ملكية وخنادق حسنة ، أو أن يأمر جلالته كأهون ضرر ، بأن تنسف القلعة بالألغام وتخريب الميناء بردمه وإغراق بعض المراكب المشحونة بالصخور والرمال عند مدخله) .

إن المكاتبات المتبادلة بين سلطان تونس ، الخاضع لحماية الأسبان ودون فرانتي جونزاجا Don Ferrante Gonzaga نائب الملك في صقلية تلقي أضواء على طرابلس ، وبقاعها في تلك الأعوام ، فهو يرد على جونزاجا الذي يوصيه بإرسال قوة لتحرير جربة وتاجوراء بتاريخ 21 نوفمبر (إن الشوكة في العين تؤلم أكثر من الشوكة في القدم) .

لقد استولى الأتراك على بعض أراضيه ، وعنده أنها أهم من تاجوراء ، وأنه إذا استرجع هذه الأراضي فسيسهل عليه الاستيلاء على تاجوراء ، وحين تلقى تحريضاً مماثلاً ، رد عليه السلطان بقوله سنة 1541 مؤكداً بأن اهتمامه كله منصرف إلى تحرير القيروان .

وفي العام التالي ، أخبر سلطان تونس جوزانكا ، بأنه قد وصلت مراكب تركية إلى سواحل الشمال الإفريقي ، وأنها تركت قسماً من ركابها في تاجوراء ، أما الباقي فيبدو أنه يتجه إلى المهدية .

ويبدو أن الأتراك قد وضعوا خطة واسعة كبيرة ، وكانوا يفكرون في احتلال ساحل شمال إفريقيا .

في سنة 1537 وسنة 1539 جرت بين (بربروسا) وبين الامبراطورية مفاوضات في محاولة لفصل بربروسا عن السلطان سليمان . وقد طلب (بربروسا) طرابلس وتونس وبنزرت وبونا بالإضافة إلى الجزائر التي كانت في حوزته ، وقد وعدوه ببجاية وطرابلس أيضاً في حالة ما إذا كانت المنظمة مستعدة للتنازل عنها .

وأثناء ولاية فرناندو دي براكامونتي Fernando de Bracamonte نجد للمرة الأولى الإشارة ، وعلى وجه التدقيق في 1542 ، إلى وجود (أحد المسيحيين المعتنقين للإسلام يدعى مراد آغا Morataga الذي يقوم بمساعدة وتأييد (بربروسا) قائد الأسطول العثماني بتضييق الحصار على المدينة ، ويزحف بخطوط جبهته إلى ثلاثة أميال عن القلعة) .

ولذا فقد كانت تجري أعمال حفر الخنادق ، وتعلية الحصن Castellejo لتأمين الدفاع عن الميناء .

من أجل هذه الغاية أرسل إلى طرابلس ، أكثر من مرة ، قائد عام البحرية فرا جورج سخلنج Schiling في ديسمبر 1542 وفي إبريل 1543 ، وقد رفض سكان السواحل الغربية الذين كانوا خاضعين في البداية لطرابلس دفع الضريبة ، وأثناء حكم كريستوفانو دي سوليس فرفان Cristofano de Solis Farfan سنة 1545 تقررت الحملة ضد الماية ، قرب جنزور .

وتوجه حينذاك إلى طرابلس ، على رأس أربعة مراكب للمنظمة ، فرا سنيورينو جاتينارا Signorino Gattinara رئيس دير مسينا .

وفي ليلة من أوائل أغسطس خرج حوالى ألف من المسلحين ، قسم عن طريق البر والآخر عن طريق البحر وتجمعوا قرب القرية ، ولكن سوء تصرف ضارب الطبل الذي أدى إشارة الهجوم قبل موعدها ، كان سبباً في إخفاق المباغتة ، ومع ذلك فقد كانت الغنائم قيمة وأسر 452 أسيراً .

وقـد قاد لافـاليتي الذي حكم طـرابلس من سنة 1546 إلى 1549 عـدة حمـلات متكررة ضـد مراد آغـا ، ووسع المجـال أمام المـدينـة المحـاصـرة بإبعاد نطاق الحصار .

وقـاد لافـاليتي سنـة 1546 ، حملة مفـاجئـة ، خـرجت أثنـاء الليـل ، للهجوم على تاجوراء ، عن طريق البر ، قوامهـا جنود مسلحـون بالقـرابينات وتـدعمها سفينتـان قامتـا بإنـزال بعض المدافعين الـذين تـوغلوا حتى البـرج الذي يحمي الميناء الصغير بتاجوراء ، فأشعلوا النـار في إحدى مـراكب مراد آغـا . وعندمـا بدأ النهـار تـابعهم مـراد آغـا ، ولاحق جيش المـنظمـة ، في طريق عودته إلى طرابلس ، وقـد أسر في المعـركة التي نشبت بين الفـريقين الفـارس مارزيليـا Marziglia وقد تـزايد القلق حـول الدفـاع عن طـرابلس ، وتوجه المرشد الأكبر ، بطلب المعـونة من البـابا أيضـاً وأرسل إلى رومـا في 8 يناير 1547 رئيس دير لومبارديا فـرا كارلـو سفورزا لكي يتـولى نقل الـطلب والتذكير بالأوضاع الحرجة التي تواجهها المدينة .

وقـد يكـون من المـلائم ، أن نـورد هنـا النص الكـامـل للتعليمـات التي صدرت إلى المبعوث :

« تعليمـاتنا إليكم أيهـا المتدين الجليـل اللامـع فـرا كـارولـو سفـورزا رئيس لـومبارديـا عن الأشياء التي ستتنـاولونهـا مع صـاحب القداسـة ، حول موضوع طرابلس أولاً :

قبلوا قـدمي صاحب القـداسة فـور وصولكم إلى رومـا ، وبلغوه نيـابـة عنا رغبتنا في خدمته كـأبناء حقيقيين وخـدام مطيعين ، وقـدموا إليـه الرسـالة التي بعثنـاها بـاعتمادكم وذكـروه كيف أنه منـذ أن منح قـداسته جـزر مـالـطا وجوزوا وقلعة طرابلس إلى المنظمة أبدينا آهتمامـاً دائماً بتـدعيم هذه القلعـة وتزويدها بالجنود وكافة الأشياء الضـرورية ، متكبـدين في ذلك نفقـات طائلة وإرهـاقاً كبيـراً للمنظمـة . وكمـا هـو معلوم لـدى قـداستـه أنـه منـذ أربعـة أو

خمسة أعوام قد جاء إلى هنا التركي مراد آغا ، وهو من أتباع (بربروسا) ورفقائه ، وقد أعلن نفسه ملكاً على تاجوراء وهي أرض قريبة جداً من قلعة طرابلس.

وقد استطاع بطريقته أن يجمع بالإضافة إلى الأتراك الذين معه ، عدداً آخر من العرب الذين ربطتهم به صلات ودية وتحالف ، ومن ذلك الوقت تعرضت القلعة إلى حرب متتابعة واشتباكات متواصلة عادت بالأضرار على الطرفين ، ورغم أن ملك تونس بتأييد من منظمتنا قد اهتم بطرد مراد آغا ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، مما زاد من قوته ، كل يوم ، سواء بتأييد من (بربروسا) وأيضاً من (درغوث رايس) وهو قرصان كبير من الموالين إليه ، ومن المقربين إليه .

وطبقاً للمعلومات التي توافرت لدينا فإنه بتأييد من (بربروسا) وبتضامن واتفاق مع درغوث رايس والأهالي المجاورين ، يعد الآن العدة ، ويعتقد أنه سينفذ خطته للاستيلاء على تلك القلعة ، أو على الأقل مدينة طرابلس التي تحيط بتلك القلعة . فإذا قدر له أن يحتلها يصبح من المتعذر الاحتفاظ والدفاع عنها ، وأنه إذا حدث هذا ـ لا قدر الله ـ فسوف تكون خسارة فادحة لا لمملكة صقلية وكالابريا ولكنها خسارة للمسيحية بصفة عامة ، وستكون وكراً للقراصنة الذين ستمتلىء بهم هذه البحار .

ونظراً إلى أن إمكانيات المنظمة ليست كافية ولا صالحة لمواجهة هذه الأخطار ، واستنادا إلى ما كتب إلينا من تقارير من طرابلس عن العمل لجمع أربعة آلاف أو خمسة آلاف جندي حتى تتمكن المنظمة فيما بعد من طرد هذا التركي ، من أرض تاجوراء ، وأنه إذا تم ذلك فسوف يحقق خيراً كثيراً وراحة عظمى للمسيحية ، وهو أمر لا يمكن إتمامه إلاَّ بتأييد ومساندة قداسته ، أرجو أن تلتمسوا منه أن يتكرم بتأييدنا في هذه المهمة بالعدد المذكور أعلاه من الجنود كله أو جله ، وأنه عن هذا السبيل يمكننا أن ننفذ هذه العملية ، ومن أجل هذا التمسوا منه في إلحاح للأسباب

المنوه عنها سابقاً ولأسباب أخرى ملحة تقتضيها هذه الظروف وتجنباً للإطالة نتركها لحكمتكم كما سبق أن أعلمناكم بها بتوسع » .

مليتا 1546 (1547) .

إذن ، لقد كان المرشد الأكبر يطلب مساعدة البابا لكي يجمع حملة تتكون من أربعة أو خمسة آلاف تكفي لطرد مراد آغا من أراضي طرابلس .

لقد أوضحت رسالة المرشد إيضاحاً كاملاً الإطار العام للأوضاع ، ولكن المساعدات لم تأت ، لا من البابا ، ولا من الامبراطور .

وكان نفوذ أسبانيا وسيطرتها على إفريقيا قد أخذ في الانهيار ، منذ أن مني جنود شارل الخامس (1541) وأسطول أندريا دوريا بهزيمة في الجزائر ، وأصبح الأسطول التركي المتحالف مع الأسطول الفرنسي سيدا البحر الأبيض المتوسط .

وفي سنة 1547 مات خير الدين (بربروسا) المؤسس الرئيسي للقوة البحرية التركية ، ولكن بقي للأتراك قادة لهم وزنهم وقيمتهم ، وكان في طليعتهم ، من حيث الشهرة والمكانة ، درغوث الذي ورد ذكره فيما تقدم .

درغوث ويطلق عليه الكتاب الأوروبيون المعاصرون له، واللاحقون Dargut, Dragut, Dorgutte أما العرب فيسمونه دراغوث ، والأتراك درغوث Dorghut وبالتصغير درغوتشيه .

ولد حوالى 1485 في مقاطعة منتشيه Menteshe على السواحل الغربية للأناضول وآنصرف منذ شبابه الباكر إلى القرصنة في بحار الشرق ، وفي 1533 ذكر بين القراصنة العثمانيين الذين كانوا يهاجمون سفن البندقية في بحر إيجه ، ثم انتقل إلى العمل تحت قيادة (بربروسا) واشتهر بسلب

السفن المسيحية في مياه شمال إفريقيا .

وفي يونيو 1540 فاجأه جيانتينو دوريا Giannettino Doria عند سواحل كورسيكا ، فأسره وباعه إلى أسرة لوملليني Lomellini من جنوة الذين استخدموه في التجديف فوق مراكبهم .

وافتدي سنة 1544 بناء على اهتمام شخصي من (بربروسا) ، فاستأنف نشاطه القرصاني بمزيد من الحيوية والقوة تحت علم سلطان القسطنطينية [1] .

وأصبح وضع طرابلس ضعيفاً لا يقوى على الصمود ، بل مرت فترة في سنة 1548 وجدت المنظمة نفسها مدفوعة إلى التفكير في تركيز قواتها في طرابلس ، بعد أن تأكد لديها استحالة الاحتفاظ بطريقة مشرفة ومضمونة بطرابلس ومالطا . وقد خططت لذلك بناء على اقتراحات قدمها بعض الفرسان من ذوي المكانة والنفوذ ، منهم لافاليتي ولكن تغلب الاتجاه إلى ترك المشكلة دون حل نهائي ، وانتظار ما يسفر عنه الزمن والأحداث من توجيه ونصائح .

وفي سنة 1549 عند نهاية حكم جيوفاني لافاليتي ، كاد مراد آغا أن يقع أسيراً أثناء هجوم مفاجىء قام به فراجيوفاني دي شردان De Cerdan كان مصحوباً بعدد من الفرسان الطرابلسيين وبعض سكان المنشية ، بينما كان متجهاً في كوكبة صغيرة من الفرسان لحضور حفل ختان في بيت أحد أصدقائه المخلصين هو عبد القادر بن الشوشانة شيخ أحد القبائل وقد أسر ابن الشوشانة وعربي آخر ، واقتيدا تحت الحراسة إلى طرابلس ، أما مراد آغا ، الذي طوق في البداية وحوصر، فقد تمكن من الفرار محتمياً بالمقاومة اليائسة التي أبداها حرسه المرافق ، ومعتمداً على سرعة جواده العربي ، وبدلاً من الاحتفاظ بابن الشوشانة أو الحصول على مبلغ كبير

---

(1) Ali Riza' Seifi (Dorghut Reis) Costantinopoli 1910.

كشرط لافتدائه وإطلاق سراحه ، أراد الفرسان أن يستميلوا إليهم بعض سكان المنشية والساحل فبادروا إلى إطلاق سراح الأسير بشرط أن يعمل على إزاحة مراد آغا عن المكانة التي يتمتع بها بين عرب الضواحي والدواخل .

وقد عهد بمهمة التفاوض مع ابن الشوشانة والأهالي إلى الشيخ المنصور وعلي ابنه وإلى أحمد بن جوارة (Bengioara) من الزعماء ذوي النفوذ في المنشية .

وما كاد مراد آغا يشعر بذلك ، حتى أشاع بين الناس ، أن ابن الشوشانة ما يزال مخلصاً له في السر ، وإن زعماء المنشية مكلفون من قبله بالتظاهر بالاتفاق مع فرسان مالطا ، حتى إذا حانت الفرصة ثاروا ضد المنظمة بناء على تعليماته .

وقعت المنظمة في المكيدة ، واعتقلت ثلاثة من الزعماء المذكورين أعلاه وتسعة أشخاص آخرين ، وأرسلتهم جميعاً إلى مالطا حيث حوكموا وبرئت ساحتهم [1] .

وكان درغوث قد أقام في سواحل الشمال الإفريقي (بربريا) أهم قواعد نشاطه القرصاني . وفي سنة 1549 تمكن بمساعدة مراد آغا الذي أرسل إليه مائة من الرماة من احتلال المهدية . (إفريقيا لدى كتاب ذلك العصر) ومن هناك كان يقذف بسفنه لسلب المراكب والسواحل المسيحية ، وخاصة سواحل إيطاليا ، وكان من الضروري إبعاده عن هذه المراكز ، وقام دورياً بالفعل بحملة تحت قيادة نائب الملك بصقلية جيوفاني دي فيجا ، ومساندة منظمة الفرسان التي بعثت أربعة مراكب ومجموعة من الفرسان ، واحتل المهدية في 10 سبتمبر 1550 .

---

(1) Bosio op. cit. III.

أما درغوث الذي ترك أحد نوابه في المهدية ، فقد أخذ يجوب دواخل تونس عدة أشهر ، ثم جمع فرقته القرصانية في مضيق القنطرة بجزيرة جربة وحاصره دورياً هناك في إبريل سنة 1551 ، ولكنه استطاع أن يسحب سفنه عبر قناة أرضية حفرها ، وخرج بها إلى عرض البحار ، واستولى على المركب الرئيسي القادم من صقلية لدعم دوريا ، وفي نهاية إبريل باغت مالطا ، ونزل بجنوده في سواحلها وقد سلبوا قرية سيجيوي (Siggeui) ثم تابع رحلته إلى الشرق حيث لحق بالأسطول العثماني الذي جاء بعد ثلاثة أشهر لحصار طرابلس .

وفعلاً لم تتأخر الأنباء باقتراب الأسطول العثماني . وقد أرسلت المنظمة منذ نهاية ابريل 1551 إلى طرابلس ، جاسباري دي فلليس أوفاليرس (Gaspare de Vallies (o de Vallies) وكان مارشالاً في المنظمة لكي يخلف بيترو نونيز دي هريرا Fra Pietro Nunez de Herrera في منصب الحاكم ، مجددين له نفس التوصيات والتوجيهات المعتاد تقديمها إلى كل الحكام ، ملحِّين عليه بالتزام النظام والعادات الحسنة وحماية القلعة وحراستها هي والمدينة والحصن .

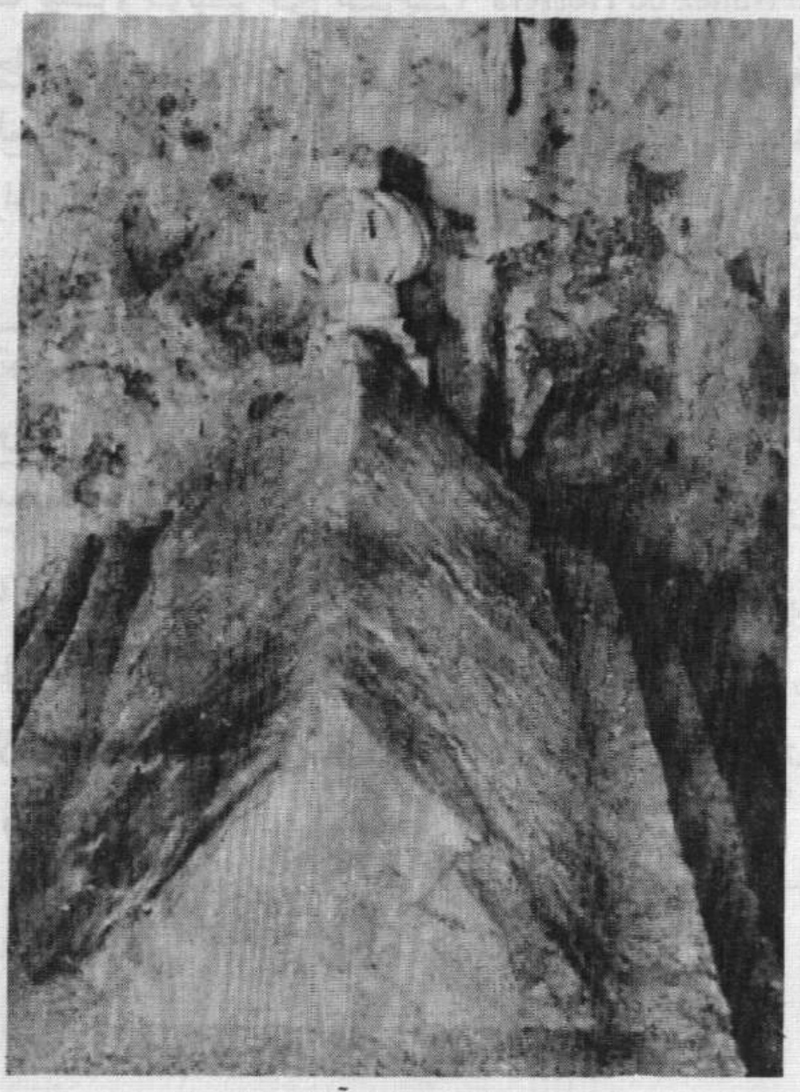
وفي بداية يوليو ، تواترت الأنباء بخروج الأسطول التركي من الدردنيل وتوجيهه ضد مالطا وطرابلس ، فأرسلت المنظمة بصفة عاجلة إلى طرابلس غوليلمو كوبيير Coupier مع 25 فارساً ، وفرقة من الجنود الذين جندوا في مسينا بقيادة جيوفاني كالابريزي (Calabriesi) .

وكان كوبيير مكلفاً بأن يتولى مهام نائب الحاكم .

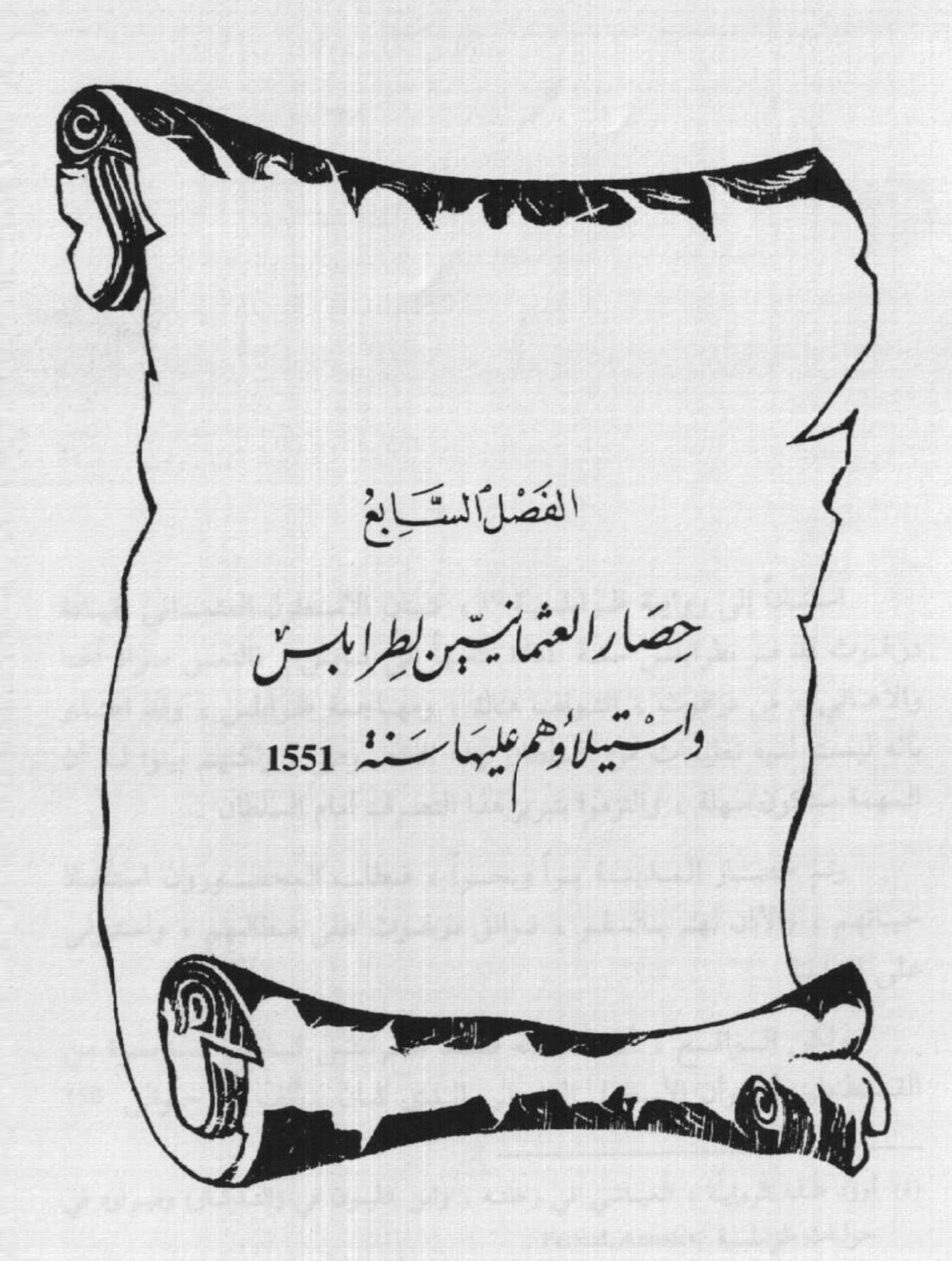
أما السفن التي حملت الجنود إلى طرابلس فقد نقلت عند عودتها النساء والأطفال الذين رأى الحاكم أنه من المناسب تسفيرهم من طرابلس . وأخذت المدينة تتهيأ لمواجهة الصدام .



تاجوراء ـ مسجد مراد آغا

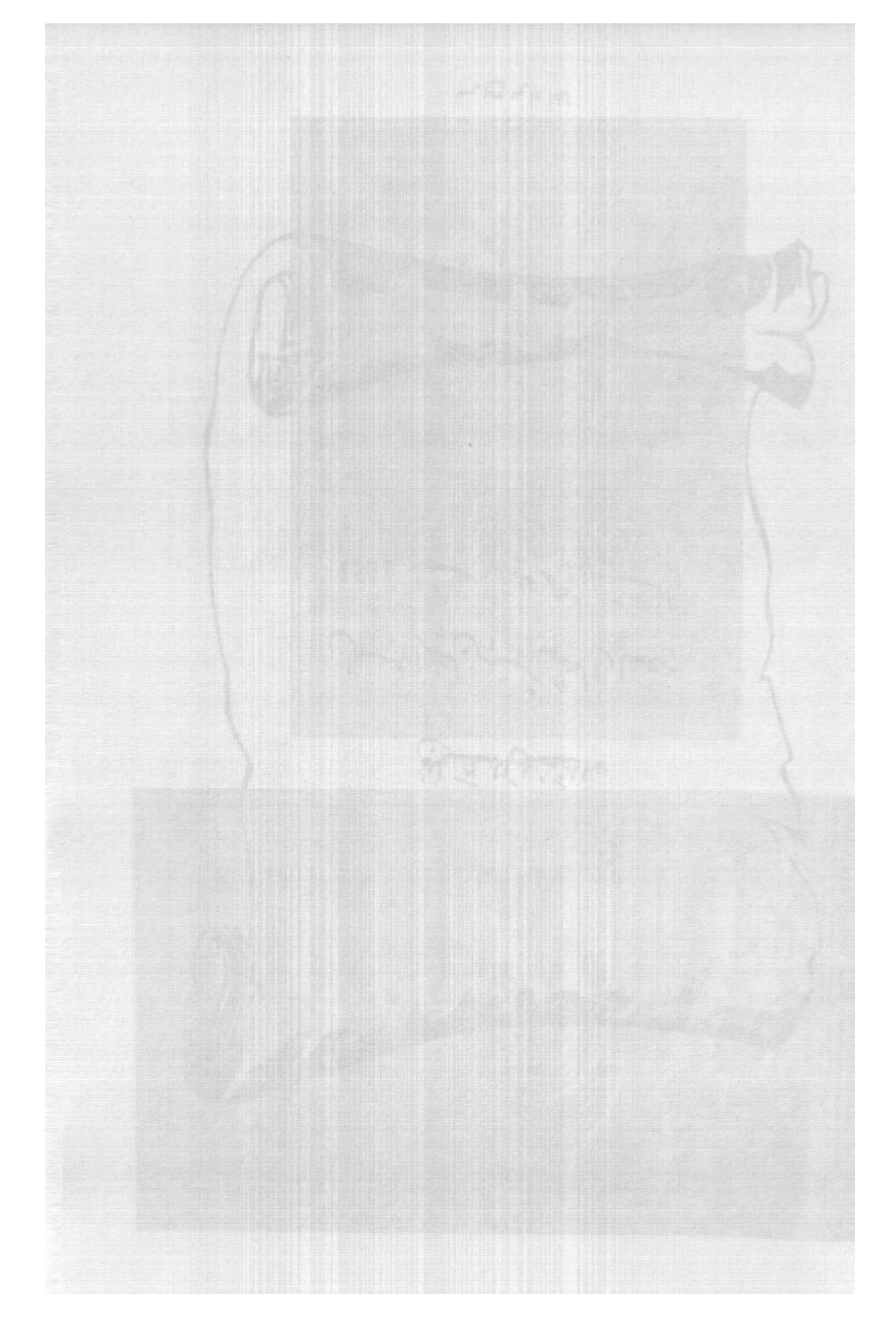


ضريح مراد آغا



الفصل السابع

حصار العثمانيين لطرابلس واستيلاؤهم عليها سنة 1551



استناداً إلى رواية طرابلسية [1] ، كان الأسطول العثماني بقيادة درغوث قد مرَّ بطرابلس سنة 1551 متجهاً إلى تونس . فالتمس مراد آغا والأهالي ، من درغوث ، التوقف هناك ، ومهاجمة طرابلس ، وقد اعتذر بأنه ليست لديه تعليمات من السلطان بهذا الخصوص ، ولكنهم بينوا له أن المهمة ستكون سهلة ، والتزموا بتبرير هذا التصرف أمام السلطان .

وتم حصار المدينة براً وبحراً ، فطلب المحصورون استنقاذ حياتهم ، والأذن لهم بالسفر ، فوافق درغوث على مطالبهم ، واستولى على المدينة .

ولكن الواقع ، أن الحملة ضد طرابلس كانت مدبرة من القسطنطينية ، وأن الأسطول العثماني الذي كان يتألف من حوالى 150

---

(1) أورد هذه الرواية ، العياشي في رحلته ، وابن غلبون في (التذكار) وفيراود في حوليات طرابلسية .Feraud, Annales .

شراعاً بقيادة سنان باشا ومساندة درغوث رايس وصالح بك حاكم رودس ، قد حاذى الساحل الصقلي ووقع على مالطا ، وحاول عبثاً الهجوم على مدينة نوتابلي Notabile ولكنه استطاع أن ينهب جزيرة جوزو وأسر منها خمسة آلاف أسير .

ثم اتجه إلى طرابلس ، حيث وصلها في الخامس من أغسطس ، وكان في القلعة ، من وسائل الدفاع ، بما في ذلك النجدة الأخيرة ، حوالى مائة من الفرسان وخمسمائة من الجنود من كالابريا ، ومن صقلية ، ومالطا ، ورودس ، وبعض المئات من العرب الموالين . وأمام هذه القوة ، كان الأتراك يمتلكون تحت تصرفهم عدداً قوياً من الجنود ، والمدفعية القوية ، وعدداً كبيراً من أهالي المنطقة المناضلين الذين جمعهم مراد آغا ، وقبل أن يأمر سنان باشا ببداية الهجوم وصل إلى طرابلس السنيور دارمونت Daramont سفير ملك فرنسا لدى سلطان القسطنطينية ، وهو بالتالي شخصية محترمة ومرغوبة لدى الأتراك .

كان قد رسا في مالطا ، أثناء رحلته من فرنسا إلى تركيا ، وبرجاء من المرشد الأكبر ، اتجه إلى طرابلس للبحث في إقناع القائد التركي بالعدول عن خطة هجومه على طرابلس ، ولكن سنان باشا رفض الاستجابة والإصغاء إلى دعوة العدول عن هذه المهمة .

وبعد أن أمضى وقتاً كافياً في تاجوراء ، للتخطيط وتركيز جهوده وتنسيقها بالاتفاق مع مراد آغا ، بدأ سنان باشا عملية الحصار ، وطلب من الحاكم ، منذ البداية ، تسليم المدينة ، الأمر الذي رد عليه جاسباري فالييس بالرفض قائلاً إنه يفضل الموت على الاستسلام .

وفي 8 أغسطس اقترب المهاجمون بمدفعيتهم من القلعة تحت حماية الحواجز وتجمعوا في جبهة عند الجانب الشرقي من القلعة في السهل الممتد بينها وبين (الظهرة) حيث تقوم حالياً طرابلس الحديثة ، ولم

يكن متيسراً لسنان مهاجمة المدينة عن طريق البحر لأن مدفعية حصن Castellajo كانت تحول دون سفن الأتراك والدخول إلى الميناء .

وفي ذلك اليوم نفسه ، بدأت تنطلق أولى طلقات المدفعية التركية التي كانت ترد عليها مدفعية المحصنين في القلعة رداً فتاكاً مؤثراً عرض الأتراك لخسارة أربعة من أحسن مدفعيتهم واثنين من (الشواس) وبعض (الرياس) وعدد كبير من الانكشارية، ورئيس كتبة بترت القنابل إحدى يديه [1] .

وفي 9 أغسطس استؤنف القصف ، بطريقة أكثر عنفاً ، واقتربت المدافع التركية إلى مسافة 150 متراً من القلعة ، وعند المساء تسبب انفجار البارود في قتل 30 تركياً [2] .

وتعرض سور القلعة العنيف إلى أضرار بالغة لا يمكن إصلاحها ، وكان الماء قليلاً سيء المذاق ، نظراً لاستحالة الاستفادة من الماء العذب الموجود في البئر القائمة تحت الجانب الشرقي من القلعة . كما كانت هناك بعض حالات العصيان والاشتباه في الخيانة ، ويمكن أن يقال إنه قد تسرب إلى نفوس المحصنين منذ اليوم الأول عدم الثقة وضعف الإيمان .

وبعد أن جمع الحاكم المجلس ، قرر الاستسلام ، بمقتضى بعض الشروط ، وأرسل وفداً مكوناً من رسولين ، إلى سنان باشا ، لعرض هذه الشروط التي أظهر سنان باشا قبولها وموافقته عليها .

وكان من بين هذه الشروط أن تتاح الحرية للمقاومين للعودة إلى المسيحية ، ولكن الحاكم الذي دعي إلى خيمة القائد التركي ، وتوجه إليه صحبة أحد الفرسان ، وضع في القيود ، ونقل إلى إحدى المراكب وعاد الفارس إلى القلعة لكي ينقل شروط الاستسلام .

(2-1) Nicolo De Nicolai.

وهي إطلاق حرية حوالى مائتين بين فرسان وجنود . أما الآخرون فمصيرهم الأسر .

وفي يوم 14 أغسطس فتحت القلعة والمدينة أبوابها للأتراك الذين اندفعوا إلى السلب والنهب ، وقد جرد الجميع باستثناء المدافعين عن حصن Castellajo الذين كان في وسعهم أن يخرجوا، بكل ما يقتضيه الشرف العسكري ، أما جنود المرتزقة فقد كان مصيرهم الأسر والرق . أما العرب الذين كانوا في خدمة الفرسان، ووقعوا في قبضة الأتراك ، فقد قطعوا تقطيعاً ، وقد استطاع بعضهم أن يلوذ بالفرار قبل الاستسلام بقليل ، وأن ينجو بنفسه إلى تونس . وقد ذهب زعيمهم فيما بعد إلى مالطا وحصل على إقرار بالصداقة الدائمة مع المنظمة لنفسه ولخلفائه [1] .

واحتفل الأتراك بانتصارهم يوم 16 أغسطس ، في الخندق المقابل لخرائب القلعة ، في الجانب الشرقي ، حيث أحدثت المدفعية التركية ثغرة في السور وقد شارك في حضور هذا الحفل ، بدعوة من القادة الأتراك السفير الفرنسي السنيور دارمونت . وفي المساء أشعل الأسطول التركي الأضواء احتفالاً بهذه المناسبة .

وأصبح مراد آغا حاكماً على طرابلس ، وهو المنصب الذي كان يتطلع إليه درغوث في الخفاء ، وعاد الأسطول التركي إلى القسطنطينية يحمل عدداً من المسيحيين الأسرى وغنائم وفيرة . ولم يستطع سوى بعض بقايا الفرسان والجنود ، ـ لا يزيد عددهم على مائتين في المجموع ـ ركوب البحر ، صحبة السنيور دارمونت عائدين إلى مالطا ، حيث سجنوا وحوكموا [2] .

وحين وصل السفير الفرنسي إلى مالطا استقبله المرشد الأكبر

---

(1) Bosio op. cit. III p. 307.

(2) Archivio di Malta (Decreta Conciliorum) Volume 209 fol 126.

استقبالاً عادياً فاتراً ، كما يشهد بذلك « نيكولاي » سكرتيره ورفيقه في الرحلة [1] .

لقد أظهر الفرسان الأسبان والإيطاليون ، سخطاً وحنقاً ضد الفرنسيين ، بل وضد زملائهم وإخوانهم في المنظمة ، رغم الحياة التي تقاسموها والنظام الذي يوحد بين أعضاء الدير .

ولقد أخذ منذ أعوام يتسرب إلى الوحدة المتماسكة للمنظمة ، التنافس والتزاحم القائم على أساس وطني وسياسي . وكان للصراع الفرنسي الأسباني الذي ساد القرن السادس عشر آنعكاساته على العلاقات بين فرسان مالطا .

وقد أخذت الغمغمات والاتهامات للسفير الفرنسي تتعالى وتتزايد ، حتى إن ملك فرنسا طلب من المرشد الأكبر الأسباني « هوميدوس » (D'Homedes) تصريحاً بنفي تلك الاتهامات ، وقد حصل الملك على ما أراد [2] .

أما دي فاليس (De Vallies) الذي حكم عليه المجلس بالسجن فقد لبث مسجوناً حتى أصبح « لافليتي » (La Valette) وهو من مواطنيه مرشداً أكبر ، فعفى عنه حين خفت سورة الأحقاد والانتقام السياسي . ولا يتردد بوزيو Bosio في رد أسباب ضياع طرابلس إلى جبن ونذالة بعض الجنود المرتزقة ، والانقسامات التي شطرت المسيحية ولا يمكننا أن نقول بخطأ هذا الحكم . ولكن علينا أن ننتبه وندخل في اعتبارنا أن الاحتفاظ بمدينة كطرابلس ، بعيدة عن القاعدة ، محاطة بالأعداء المحليين والقراصنة الأتراك ، ثم محاصرة المدينة بقوات كبيرة من الجيش التركي ، كل هذا جعل المهمة غير يسيرة ، بالإضافة إلى أن المنظمة نفسها لم تكن مستعدة

---

(1) Nicolo' De Nicolai (Navigationi) p. 22.

(2) Charriere (Negotiations de la France dans le Levant) II pp. 154 - 162.

استعداداً كاملاً من الناحية المادية والمعنوية ، وكان من نتائج (الإصلاح) فقدانها لمساهمة ومشاركة رجال وإمكانيات انجلترا وألمانيا .

لقد آنهار الفرسان الذين يدافعون عن طرابلس، منذ الوهلة الأولى ، واستسلموا لمصيرهم، ولعلهم لم يقوموا بكل ما يجب أن يؤدوه لكي يسقطوا بطريقة أكثر شرفاً ومجداً .

إن حكم الفرسان لم يترك أثراً واضحاً في طرابلس، ولكن من المؤكد أن بعض التحصينات في القلعة كانت من أعمالهم [1] وخاصة برج القديس جاكومو ، الذي دمرته فيما بعد القنابل ، وأعيد ترميمه مع بعض التعديلات .

ويمكن أن نشاهد في الحديقة الصغيرة أمام المتحف درعاً حجرياً ربما كان يحمل شعار المنظمة وقد ظل يبدو عند المدخل الرئيسي للقلعة حتى سنة 1930 .

ونذكر في النهاية أن منظمة فرسان مالطا قد حاولت مرة أخرى سنة 1551 استرجاع المدينة ، ووجهت حملة في سنة 1552 ضد زوارة ، وساندت الحملة التي قامت بها القوى المسيحية المتحالفة سنة 1559 — 1560 تلك الحملة التي كانت تستهدف طرابلس ، وانتهت نهاية تعيسة بعملياتها الحربية في جربة .

إن الوثيقة التي تتضمن خطة المنظمة للاحتلال هي التقرير المعروف بعنوان (سواحل وأحاديث بربريا) (Costa e Discorsi di Barberia) وقد قدمه سنة 1587 الكومندتور فرانشيسكو لنفريدوتشي Lanfreducci والكفالير أوتوني بوزيو Ottone Bosio إلى المرشد الأكبر فردالي (Verdala) الذي كان قد كلفهما بذلك .

وفي التقرير يقدمان معلومات عن هجوم مفاجىء يمكن أن يتم تنفيذه

---

(1) Aurigemma (Il Castello di Tripoli di Barberia) pag. 547.

بنجاح ، بقوة قوامها ألف وخمسمائة مسلح .

وقد تدخلت فعلاً سفن المنظمة من جديد في شؤون طرابلس سنة 1589 بمناسبة قيام ثورة بين الأهالي .

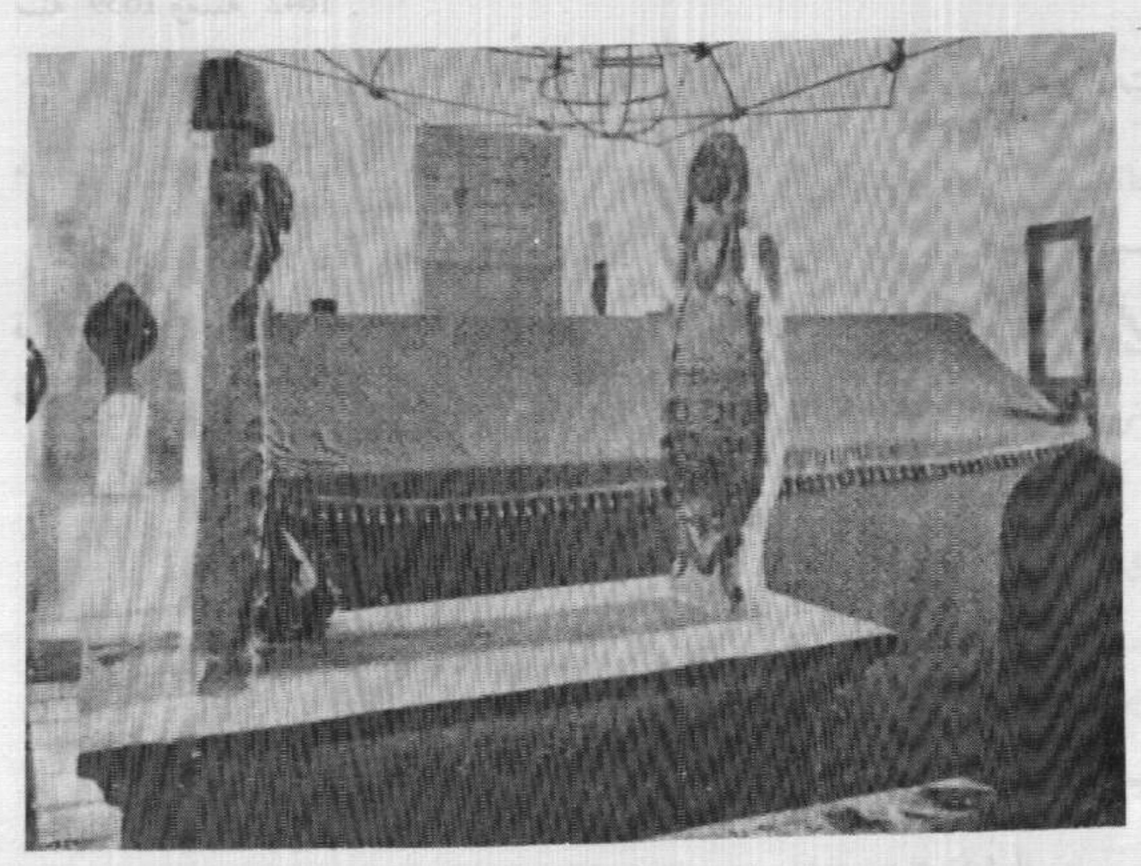
كما هوجم ميناء طرابلس أكثر من مرة من فرق مالطية كما حدث في سنة 1639 وسنة 1642 .

وفي القرن الثامن عشر كانت العلاقات بين طرابلس ومالطا علاقات سلمية ، وجرى تبادل المجاملات الودية بين البك والمرشد الأكبر [1] .

وجدير بالملاحظة أنه ، حتى القرن الثامن عشر ، ظل المرشد الأكبر في مالطا ، يحمل لقب (سيد ، أو ملك) وأمير الحكم الملكي في طرابلس .

---

(1) في مجلة E. Rossi (Corrispondenza trai gran maestri dell Ordine di San Giovanin a Malta e, Bey di Tripoli dal 1714 al 1778 Studi Orientali) X pp. 414 - 430.



ضريح درغوث باشا في طرابلس

قائمة ولاة منظمة فرسان مالطا في طرابلس

1 ـ جاسباري دي سانجوسا — Gaspare De Sanguessa
1530 — 1531

2 ـ برناردينو ماشادو — Bernardino Machado
1531 — 1532

3 ـ أوريليو بوتيجلا — Aurelio Bottigella
1532 — 1533

4 ـ غارسيا كورتس — Gorcia Cortes
1533 — 1535

5 ـ جورج سكيلنج — Giorgio Schiling
1535 — 1537

6 ـ فرناردو دي براكامونتي — Fernardo De Bracamonte
1539 — 1544

8 ـ كريستوفر دي سوليس فرفان — Cristoforo De Solis Farfan
1544 — 1546

9 ـ جيوفاني لافليتي — Giovanni La Valette
1546 — 1549

10 ـ بيترو نونيز دي هريرا — Pietro Nunes di Herrera
1549 — 1551

11 ـ جاسباري دي فالليس — Gaspare De Vallies
ابريل 1551 ـ أغسطس 1551

1 - Gaspare De Sugecesa
1540 — 1541

2 - Bernardino [illegible]
1531 — 1533

3 - Antonio [illegible]
1535 — 1537

4 - Garcia De [illegible]
1537 — 1541

5 - [illegible]
1541 — 1542

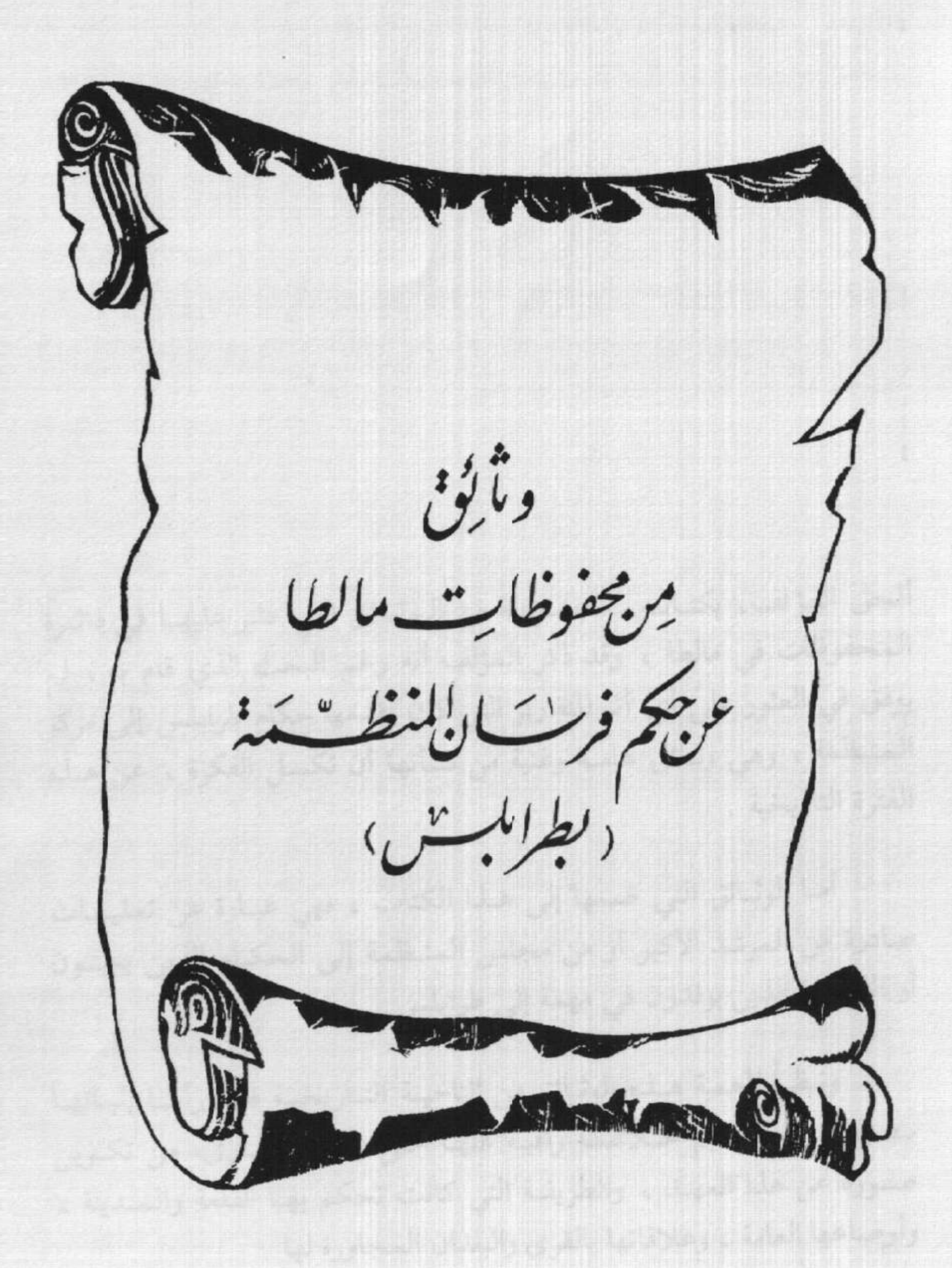
6 - [illegible]

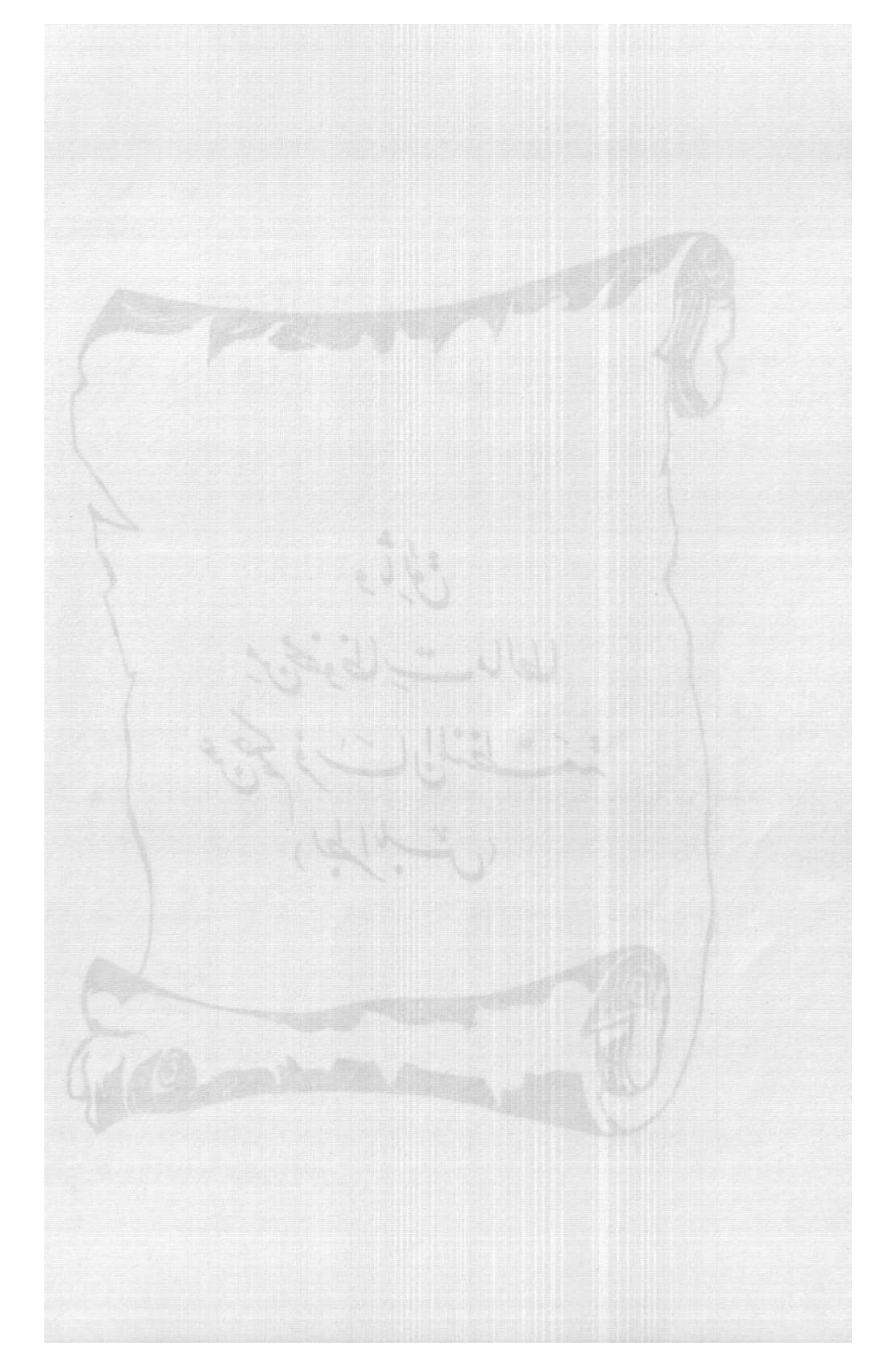
8 - Cristoforo De Solis Farfan
1544 — 1546

9 - Giovanni De Velarde
1546 — 1549

10 - Pietro Nunes di Herrera
1549 — 1551

11 - Gaspare De Valles
1551 — 1551


وثائق
من محفوظات مالطا
عن حكم فرسان المنظمة
(بطرابلس)



ألحق المؤلف، بكتابه، مجموعة من الوثائق التي عثر عليها في دائرة المحفوظات في مالطا ، وقد ذكر المؤلف أنه رغم البحث الذي قام به ، لم يوفق في العثور على أي أثر للتقارير التي كان يقدمها حكام طرابلس إلى مركز المنظمة ، وهي وثائق هامة وغنية من شأنها أن تكمل الفكرة ، عن هذه الفترة التاريخية .

أما الوثائق التي ضمها إلى هذا الكتاب ، فهي عبارة عن تعليمات صادرة من المرشد الأكبر أو من مجلس المنظمة إلى الحكام الذين يعينون أو الفرسان الذين يوفدون في مهمة إلى طرابلس .

ونظراً لأهمية هذه الوثائق من الناحية التاريخية فقد رأينا إثباتها بنصها ، مع تقديم خلاصة وافية عنها حتى يتمكن القارىء من تكوين صورة عن هذا العهد ، والطريقة التي كانت تحكم بها القلعة والمدينة ، وأوضاعها العامة ، وعلاقاتها بالقرى والبلدان المجاورة لها .

وتتضمن الوثيقة الأولى الموجهة إلى برناردو سالفياتي المكلف بحملة جربة ، أول إشارة إلى وجود خير الدين في تاجوراء، وفيها يصدر المرشد توجيهاته بوجوب العمل على أسر هذا القائد ، قبل أن يتمكن من تدعيم وضعه في تاجوراء .

أما الوثيقة الثانية الموجهة إلى نفس الشخص ، فتتضمن جملة من التعليمات الصادرة من المرشد وتقضي بضرورة التركيز على أهمية العمل على إحراق وإتلاف مراكب ذلك الرئيس الذي يدعى (ملك تاجوراء) كما يوصي المرشد بالعمل على تخريب برج تاجوراء،وتدعيم القلعة في طرابلس بما يفوت على المسلمين أهدافهم .

أما الوثيقة الثالثة فهي موجهة إلى جارسيا كورتيس حول ما ينبغي الالتزام به من تعليمات في حكم قلعة طرابلس، وتطلب منه العمل على استلام حكم القلعة وفقاً للمراسم المعتادة في تنصيب الحاكم، والحصول على قسم الولاء من جميع الضباط والجنود والعاملين في خدمة المنظمة وتفقد سلاحهم الذي يستعملونه، وسد النقص فيه، وإقصاء العناصر غير الصالحة للخدمة، والتأكد من تأدية مراسم العبادة في كنيسة القلعة وكفاية العدد المخصص لها من القساوسة ، وتعهد مدفعية القلعة، ومطابقتها للقيودات الرسمية، وتعميم التعليمات الواردة في هذا المنشور، وتنفيذه دون تمييز بين أحد وإعداد السجلات اللازمة لقيد وتسجيل إمدادات القلعة وتجهيزاتها ، وتركات الموتى، والمواد التي تباع للأهالي والرسوم البحرية ، كما توصي باتباع الإجراء السابق في دفع مخصصات الجند مرة كل أربعة أشهر ، يؤخذ عقب تسديدها القسم بالولاء والإخلاص في العمل ويبدو من هذه الوثيقة ، أنه كانت تعطي حصة غذائية للعرب واليهود المقيمين في القلعة، ويوصي المرشد بالنظر في الغاية التي قررت من أجلها هذه الحصة ، والعمل على إلغائها إذا تبين للحاكم أنها قد استخدمت استخداماً سيئاً ، كما يوصي بالدقة في إجراءات الدفع ، وينبه المرشد إلى

وجوب العناية بحرس القلعة ، ويدعو إلى التشديد في الحراسة الليلية على الأسوار ، والنهارية عند الأبواب ، وعدم التسامح إزاء المخلين بالواجب كما يأمر بعدم فتح بابي المدينة (الباب البحري والباب البري) في وقت واحد .

ويتبين من هذه الوثيقة ، أن المرشد قد تلقى معلومات تفيد بأن بعض المسلمين يترددون على القلعة وخوفاً من النتائج التي تجرها هذه الزيارات، يأمر بعدم السماح بدخول الأتراك أو العرب أو اليهود إلى القلعة، باستثناء الذين يراجعون من أجل أمور هامة، فيسمح لهم بالدخول نهاراً، على أن يتركوا أسلحتهم وخيولهم عند المدخل.

ويأمر المرشد بتعميم منشور يحظر بموجبه المالكين للرقيق ، بقيد رقيقهم في الأغلال وعدم الإبقاء - في القلعة - على أكثر من أربعين أسيراً اللازمين للطحن أو القيام بالخدمات الأخرى للقلعة على أن ينقل بقية الأسرى خارجها حتى يمكن الاطمئنان إلى سلامتها وعدم تعرضها للأخطار .

ويبدي المرشد رغبة في إبعاد اثني عشر أو خمسة عشر أسيراً تركياً لأنهم يشكلون خطراً على القلعة ، بما عرفوا به من جرأة ومكر ، كما يوصي بإصلاح وترميم السوق رغبة في استمرار الحركة التجارية ، على أن لا يقام هذا السوق عند الخندق القريب من القلعة .

ويوصي المرشد بضم تركة الموتى الذين ليس لهم وريث ، أو لم يخلفوا وصية إلى أملاك المنظمة ، كما يوصي بالاحتياط والوقاية ضد الوباء الذي انتشر في قبرص والمشرق وتكليف المختصين بمراقبة الحالة الصحية خوفاً من تسرب العدوى إلى جزيرة مالطا وصقلية ، وينظم المرشد الطريقة التي تتم بها العمليات التجارية بالنسبة للمنظمة ، والحرص على أن تكون الصفقات التي تعقدها مع القراصنة رابحة ، وتحويل التاجر إلى مالطا إذا تعذر تسديد مستحقاته في طرابلس.

ويطلب المرشد أن يقوم أمين الجمرك ، بتقديم حساب للدخل والمدفوعات كل أربعة أشهر وتختم الوثيقة بالإشارة ، إلى تكليف المرشد لأحد المهندسين بإجراء فحص كامل للقلعة وتقديم تقرير شامل عن أوضاعها ، والوسائل اللازمة لإصلاحها .

والوثيقة الرابعة ، تعليمات موجهة إلى جورج سخنلج ، وهي تدعو الحاكم إلى تفقد الفرسان ، والتأكد من أحوالهم ، وإمكانياتهم العسكرية ، ويشير إلى أن القلعة أصبحت مهددة بخطر الهجوم عليها ، من قبل بربروسا الذي استولى باسم السلطان على تونس ، وأجزاء من ساحل بربريا ويدعو المرشد هذه النجدة إلى العودة حال تأكدها من زوال خطر بربروسا وخير الدين ملك تاجوراء تاركاً لقائد النجدة حرية التصرف في تقرير المواقف التي تقتضيها الظروف ، والإبقاء على قسم من هذه النجدة للدفاع عن القلعة ، ويطلب المرشد موافاته بصورة تفصيلية عن الأوضاع التي وجد عليها القلعة ، وإخطاره بحاجاته كما يوجه إليه التعليمات التقليدية حول الإجراءات الإدارية والمالية، طبقاً لما وردت الإشارة إليه في الوثيقة السابقة .

وتؤكد الوثيقة الخامسة الموجهة إلى أنطونيو دي بنيرو المكلف بقيادة إحدى النجدات الأهمية الكبرى التي تحظى بها قلعة طرابلس في نظر المرشد.لا بالنسبة للمنظمة ، ولكن بالنسبة للمسيحية بصفة خاصة ، والملك الكاثوليكي الذي يبدي اهتماماً بكل ما يتصل بسواحل شمال إفريقيا . وتشير الوثيقة إلى ما توافر للمرشد من معلومات حول خروج بربروسا من مضيق القسطنطينية ، بأمر السلطان الأكبر ، بعدد كبير من السفن ويبدي تخوفه مما تنطوي عليه هذه الحملة من دلائل ، وتشير إلى نية بربروسا في الهجوم على القلعة ومحاصرتها طبقاً لما يتردد من شائعات في الشرق .

ويطلب منه تعريف الحاكم بأسباب إيفادهم والتشاور معه في

التطورات الجارية مع توخي الحذر واليقظة ، والقيام بجميع الأعمال التي تبدو أنها ضرورية .

ويدعو المرشد إلى تنسيق العمل والاستعداد لمواجهة احتمالات الحصار الطويل بالتوفير والاعتدال في الإنفاق والتصرف بحكمة في مواد التموين .

أما الوثيقة السادسة فهي تنقل معلومات إلى المرشد عن أحوال المدينة والقلعة وقيام فرقة من الفرسان بالاستيلاء على برج تابع لملك جنزور .

وتتضمن الوثيقة السابعة الموجهة باللغة الأسبانية إلى جورج سخلنج عقب تعيينه حاكماً على طرابلس ، الإشارة إلى وجود مراد آغا الذي يعمل بمساندة بربروسا بكل الطرق، على تهديد القلعة والمدينة الأمر الذي سيلحق أضراراً فادحة بالمنظمة والمسيحية ، ويدعوه للتشاور مع رجال المنظمة وفرسانها للحيلولة دون تمكين مراد آغا من تحقيق أهدافه ، ويوصي بإصلاح القلعة وترميمها ، وإعدادها لمواجهة احتمالات الهجوم والحصار .

والوثيقة الثامنة لم نستطع الإحاطة بمحتوياتها لجهلنا باللغة التي كتبت فيها .

وفي الوثيقة التاسعة يطلب من فرانشيسكو بيكوتس السفر فوراً إلى طرابلس ، واستلام النقود الذهبية والفضية والأشياء الأخرى الثمينة ونقلها إلى مالطا وعدم السماح بشحن أية تجارة أو أي شيء آخر ، من شأنه أن يعوق السفينة عن الوصول إلى مالطا ، أو يعرضها للخطر ، وألاّ يزيد عدد الأسرى المنقولون فوق ظهرها على أكثر من خمسة عشر أسيراً . وفي سنة 1548 ظهرت فكرة انتقال هيئة الفرسان إلى طرابلس وتوقعاً لهذا الإجراء أصدر المرشد العام في فصل عام النظام والقواعد التالية التي تنطوي على

معلومات هامة ومفيدة من شأنها أن تلقي أضواء على أوضاع قلعة طرابلس ، والحكم الذي كانت تمارسه المنظمة .

وتشير هذه الوثيقة ، إلى أن الانتقال سيتم على مراحل تدريجية ، بحيث يتم في السنة الأولى إرسال خمسين فارساً ، وحاكماً بدرجة (Balio) تخول له الصلاحيات التي يتمتع بها المرشد الأكبر في مالطا ، وتتم إقامة هؤلاء الفرسان طبقاً للطرق المتبعة في مالطا على أن تدرس نتائج هذه الإقامة والإمكانيات اللازمة لمواجهتها ، بحيث يسهل الحكم عند نهاية العام بإمكانية رفع هذا العدد إلى مائة فارس ، وهكذا كل عام حتى يتم نقل المنظمة ، وتحظر الوثيقة صرف أية مرتبات إلى خدم الفرسان ، كما تنص على حرمان موظفي الجمارك من رواتب يتقاضونها من القلعة ، نظراً لحصولهم عليها من الجمارك ، كما يمنع المرشد الإقامة في القلعة وصرف المكافأة بالنسبة لمن يقيمون فيها من أجل أعمالهم الخاصة ، أو افتداء أقاربهم أو قضاء عقوبة .

وتقضي الوثيقة باحتكار المنظمة للبيع والشراء في القلعة وكذلك المتاجرة مع القراصنة التي يجب أن يقوم بها الحاكم أو أمين الخزينة مع مراعاة تحقيق الأرباح من وراء ذلك .

وينبه إلى وجوب المحافظة على فرن القلعة وتخصيص فرّان ممتاز وعدد من الأرقاء اللازمين ، وتهيئة المطاحن التي تدار بالبغال أو الجمال أو الخيل ، وألا يسمح لأحد بالخبز لغير حاجات بيته ، ويستثنى الهيئة الحاكمة التي يحق لها إعداد الخبز لمن يحتاجون إليه .

وتركز الوثيقة على ضرورة إبعاد العناصر العاطلة المقيمة في القلعة، كما يوصي بتوزيع تركات المتوفين من القساوسة على زملائهم ، بحيث لا يحق لهم المطالبة بمخلفات من مات من زملائهم في مالطا .

نظراً إلى قيام عدد كبير من العرب وعائلاتهم وأبنائهم بشراء كافة

حاجياتهم من القلعة ، فينصح المرشد بالعمل على فتح متجر خارج القلعة أو حانة يباع فيها النبيذ والخبز والزيت والجبن والبقول والعسل وغيرها ، لحساب الخزانة العامة ، ولا يحق لغيرها بيع مواد التموين ، بحيث يضمن الربح للمنظمة ، والحيلولة دون دخول عدد كبير من العرب إلى القلعة، وتنص الوثيقة على أن يكون أمين الخزينة على علم بجميع المبيعات التي تجري في القلعة صغيرها وكبيرها .

إذا ذهب أحد الضباط أو الجنود في إجازة ، يقضيها في بيته ، أو أي مكان آخر بموافقة الحاكم فلا يصرف له مرتبه أو قسطه من التموين خلال هذه الفترة ، ألا يمنح للعرب عدداً من حصص الفرسان يتجاوز العشرين ومن المشاة ما لا يتجاوز الأربعين ، إن جميع الغنائم والأرباح التي تحصل عليها القوارب والمراكب والسفن في طرابلس ينبغي أن تخضع لرسوم الأميرالية التي تدفع إلى خزانة المنظمة، ويسري ذلك على القراصنة الأجانب الذين يحققون غنائم في طرابلس ويستثنى من ذلك السفن التي جهزت في مالطا، تحت علم المنظمة فيحتفظ برسومها للمنظمة هناك .

والوثيقة الثانية عشرة موجهة من المرشد إلى عضو المنظمة كلاوديودي سنجلا ، وتفيد بالقرار الذي تلقاه المرشد من الملك القاضي بقيام الأمير دوريا قائد البحرية الملكية على رأس السفن الأسبانية والإيطالية في غرفتين لمباغتة درغوث رايس مع انضمام سفن المنظمة إليهم في هذه الحملة ، (ونظراً لما نراه من أن هذه المهمة في خدمة الله والملك والمسيحية جمعاء فلم نشأ أن نتخلف عن النهوض لهذه المهمة وقررنا إيفادكم لذلك) ويأمره المرشد بالتوجه إلى مسينا والانضمام إلى سفن دوريا حيثما وجدت ويركز على أهمية تاجوراء، كما يلح على أن أمر مراد آغا إذا لم يعالج بالسرعة الممكنة، فسيصعب طرده ، حيث يزداد كل يوم قوة ويدعو المرشد إلى إيضاح هذه الفكرة وشرحها لنائب الملك والأمير ،

وبيان الخطر الذي يجره إهمال هذا العنصر الخطير ، وآطلاعه على الرغبة القوية التي آندفعت بها المنظمة للمشاركة في هذه الحملة خدمة للملك واستجابة لأوامره ، ويطلب منه في الختام أن يتصرف بما يقتضيه الموقف بالتشاور مع قدماء الفرسان والضباط والبارزين من الرجال .

والوثيقة الثالثة عشرة موجهة من المرشد إلى (جاسباري دي فلليبس) عقب تعيينه حاكماً على قلعة ومدينة طرابلس .

وهي تشير في البداية إلى المراسم المتبعة في استلام السلطة والاحتفالات المعتادة واستعراض القوات، وتفقد سلاحهم والحصول على قسم الولاء، كما تشير إلى التنظيمات السابقة حول الطريقة التي تحكم بها القلعة ، وينصح المرشد بالاعتماد على الصالح منها، فإذا تبينت له الحاجة إلى تنظيم جديد ، أخطر به المرشد ومجلسه لإصدار الأوامر اللازمة لتطبيقه .

ويوصي المرشد بمراعاة الفرائض الدينية واحترام الآحاد وأيام الأعياد ومعاقبة المتحللين والشتامين وعدم السماح لمزاولة ألعاب القمار بأنواعه ، والعبث بالأسلحة واللعب بها ، والانتباه إلى الحراسة النهارية على الأبواب والليلية عند الأسوار وعدم فتح الأبواب البرية والبحرية في وقت واحد .

وتؤكد التعليمات السابقة الصادرة بخصوص الحذر من العنصر العربي ، والتقليل قدر المستطاع من تردده على القلعة ، مع مراعاة مصالح الجمرك وعدم حرمان القلعة من التموين ، كما يأمر بعدم الإساءة إلى العرب القاصدين السوق أو العائدين منه ، وأن لا يسمح بانتزاع أي شيء بالقوة ، كما يحظر خروج الجند من القلعة إلى السوق من غير سلاح ، كما يدعو إلى تجنب الاشتباكات التي لا طائل وراءها ، ولا تجر سوى خسارة بعض العناصر الصالحة ، والذخيرة الحربية ، وتنص الوثيقة على إيداع تركات المتوفين عن غير وريث أو وصية في ذمة الخازن إلى أن

يفصل في أمر الجهة التي تؤول إليها التركة ويطلب إخطاره والمجلس بكل الأشياء الهامة التي تقع لهم .

والوثيقة الأخيرة وهي صادرة إلى جاسبري دي فلليبس ويشير المرشد في هذه الرسالة إلى ما بلغه من معلومات عن طريق مختلفة ، وخاصة ما تلقاه عن طريق زميلهم جورج دي سانتو جوان تؤكد خروج الأسطول التركي واتجاهه نحو مالطا وقلعة طرابلس ، الأمر الذي أثار رغبة المرشد في تدعيم حامية طرابلس ، وتحصينها ، وأصدر أمره بسفر عضو المنظمة غسو ليبم كوبير مع بعض الفرسان وجيوفاني كالابريزي مع جنوده للتوجه إلى طرابلس ويقرر المرشد تنصيب كوبير نائباً للحاكم العام ويوصي بصرف ما يحتاج إليه الجند من أقمشة من الخزانة العامة ، على أن يسدد على حسابهم ، وأن يحتكموا إليه في المنازعات التي تقع بينهم . وأن تكون فرقة النجدة تابعة لقيادة ضباطها الذين يرافقونها ، وأن تخول لقائدها كافة الصلاحيات والسلطات والتصرف وفقاً لدرجته كقبطان للمدفعية .

إن المرتبات التي تدفع ينبغي أن تكون مماثلة لمرتبات جنود الملك ، أي مرتبات حرب وليست مرتبات حامية ، وهي تصرف طبقاً للتقاليد السائدة أثناء الحرب ، في التاسع والعشرين من كل شهر اعتباراً من اليوم الذي ينتهي فيه أجل المرتب الذي دفع في صقلية .

يجري نقل الجنود على نفقة المنظمة إلى قلعة طرابلس والعودة بهم إلى مسينا دون خصم أي شيء عن الأكل والشرب أو النقل .

إذا انقضى شهر سبتمبر القادم دون أن تقوم الحملة التركية بمحاصرة طرابلس فينبغي أن يعود هؤلاء الجنود إلى مسينا على نفقة المنظمة دون الإبقاء على أحد منهم في قلعة طرابلس ، ولو أبدى الرغبة في البقاء .

أن يزود الجنود بحاجاتهم الغذائية من خبز ونبيذ وأشياء أخرى بنفس السعر المقرر للجنود في طرابلس .

أن يكون ما يغنمه هؤلاء الجنود من أسرى وسبايا وأشياء أخرى ملكاً خاصاً بهم ولا يحق لأحد تجريدهم منه .

إذا جرح أحد الجنود في خدمة القلعة يقدم له الإسعاف والعناية والعلاج على نفقة المنظمة دون خصم من مرتبه .

أن يزودوا خلال الوقت الذي يقيمون فيه بالبارود والرصاص وفتيل الألغام على نفقة المنظمة .

* * *

Documenti dell'Archivio di Malta Relativi al Dominio dei Cavalieri a Tripoli

I

Il primo accenno alla presenza di Cairadino a Tagiura si trova nella seguente istruzione del Gran Maestro al priore di Roma, fra Bernardo Salviati, Capitano Generale delle Galere, incaricato di una campagna navale :

« ... quando non succedesse el caso iuxta l'intento nostro, che Dio no' lo voglia, ritornarete cum tuta la gente qui o pure alla volta de Tripoli secundo giudicarete meglio per li tempi et vittoaglie vi trovarete, sforzandovi fare quelli effetti cognoscerete essere al proposito in servicio della Christianità et honore de nostra Religione, maxime observare ch'el Rays fatto Re de Tagiora non fermi 'l pede in quelle parte cercando tuti li expedienti de pigliarlo ». L'istruzione è in data 17 agosto 1531.

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 415 (1531 - 1534), fol. 215 v.).

II

« Instructione a voi venerando prior de Roma, Capitano Generale de nostre Galere et armata de quanto haverete a fare in questo viagio che Dio vi conduca et riduca a salvamento.

« Et primo sapendo quanto importa brusiar la fusta di quel Rays che se dice Re de Tazora et havendo cum voi li piloti et gente per far l'effetto sopra ciô non vi dicemo altro excetto che partiate al nome de Dio et procediate in tuto cautamente sí in mare come per terra cum l'antivedere si conviene, de manera che detta fusta sia brusiata et se possibile serà ruynata la torre.

« Item fatto questo como speramo farete con el governator de'

Tripoli et havuta informatione di successi di quelle parte possendo fare alcuna bona opera in favor del Castello et danno delli inimici, pigliarete l'occasione como parerà conveniente et bene.

« Item direte da parte nostra al detto governatore si como gli scrivemo che habiamo deliberato mandarlo da sua M.tà per alcune cose importante a nostra Religione et che se imbarchi sopra le gallere per venir con voi lassando 'l cargo et loco suo in sua absentia al comandator fra Bernardin Machado al quale farete obedire tutti quelli del Castello si Religiosi come altri incargandoli da parte nostra che sia vigilante in quel governo como in lui confidamo.

« Item parendovi andarete et farete un torno in sino alli Secagni si potresti riscontrare alcune fuste o presa procedendo cum consiglio delli patroni et de altri pratici de quelle bande et fatto questo ritornarete qui al più presto serà possibile... Datum Melite — die 6 octobris 19531 ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 415 (1531 - 34), f. 221).

III

« Instructione a voi Religioso in Christo a noi charissimo fra Garçia Cortes Comandator d'Ascon de quanto haverete a fare nel governo vostro del Castello et fortaleza nostra de Tripoli che Dio vi conduchi et incamini in tutte le action vostre :

« Et primo

« Havendove noi insieme cum nostro Consilio per la sufficientia vostra et fede tenemo in voi ellecto et deputato Governatore di detta fortaleza, mandamo nostro Galione aposta fatta per portarvi cum tre Cavalieri in compagnia vostra. Partirete donque al nome de Dio et gionto darete nostra lettera al Comandator fra Aurelio, al qual scrivemo si como lui à rechiesto che venga per deffendere le ragion sue del priorato de Pisa et che vi facia dare a nome nostro et de nostra Religione, obedentia, sacramento et homagio da tutti li officiali et soldati cum tutta la sollemnità et cerimonie accostumate remettendove el governo et facendovi consignare el tutto.

« Item intrato in possessione del governo farete far la mostra o

sia resigna de tutta la gente sta al soldo nostro pigliando da loro juramento de servir bene a noi et a nostra Religione ogni uno in suo officio secundo gli serà ordenato et comandato et saperete si le arme porterano facendo la mostra sonno (sic) loro, et quando no' lo fusseno vederete che ne comprano et stiano ben in ordine come si conviene. Et per che intendemo ci sonno alcuni soldati manco di membri o altramente insufficienti et inutili, gli appontarete et notarete dextramente dandone aviso de quali et quanti sono a cio vi possiamo provedere d'altri al loco loro, et parendovi expedirne alcuno, lo farete provedendo in questo meso ch'el Thesoriere non anticipi denari nè robba a simili homini inutili a cio piu facilmente si possino expedire.

« Item essendo la chiesa del Castello accostumata tenere quatro Capellani, avertirete che sieno sufficienti provedendo ch'el culto divino sia ben fatto et revederete le joye et ornamenti d'essa chiesa, comprobandoli cum l'inventario antico et provedendo che stieno in man de persona secura che li doni bon recapito.

« Item revederete l'artelleria del Castello si tutta serà in essere conforme al inventario, qual sta in poter del Notario insieme cum quella habiam mandato dapoi che secundo intendemo alcuni versi et altre bombardete di ferro si sonno presi in un galione che fu mandato dal governatore a Capo di Mesurata et vedendo la difficultà tenemo de recuperar monitione non consentirete che della fortaleza se accommodi ne soccorra Corsari nè d'artelleria nè di qualsivoglia monitione.

« Item mantenendo noi a soldo per sustenimento detta fortaleza ducento persone tra officiali et soldati in li quali si comprende li quatro Capellani della Chiesa recognoscerete si ci sono tutti et si li officiali sono tutti sufficienti per loro officio dandone aviso a cio bisognando possiamo provedere.

« Item nel numero di detta gente sonno compresi dodici bombardieri, farete parimente rivederli si tutti sonno habili et sufficienti, ordenando che facino le pedre et altri artfici de monitioni como si acostuma in ogni altra fortaleza. Et farete recognosere lo legname tanto per l'artelleria come per la stantia et provisione dando aviso a cio si possa provedere.

« Item portate cum voi il quinterno de'bandi et gride altre volte

fatte sopra il regimento de la fortaleza et bona guardia delle muraglie et porta, lo vederete bene et la prima festa poi che sarete gionto et intrato al governo detta la prima messa farete pregonare et gridare in pubblica piaça con intervento del Notaro et argusino, cum lo tamborlo como s'acostuma le cose contenute in detto quinterno, o parte d'esse como vi parerà meglio provedendo che detto bando sia executato senza haver respetto a nessuno a cio che ministrando bona justitia in la fortaleza ogni un possa vivere quietamente et in pace.

« Item havendose de consignar in man del thesoriere tutte le cose che di qua se mandano per provision del Castello, farete ch'el Notaro registri tutti li responsali et cossi medesmo tutti li denari et robbe che intrano in potere di detto thesauriere como denari di cavalcata, arrendamento di furno, beni de morti robe et provision che si vendino a mori, dretti de' Armiragliato et di qual si voglia altra cosa che intri in poter de detto thesauriere, qual registro farete tenere da esso Notaro in bona forma.

« Item la paga de la gente si costuma fare de quatro in quatro mesi per man del thesauriere in presentia delli officiali et con intervento del Notaro, et facendosi detta paga si sol pigliare juramento di soldati di ben servire. Pero cossi lo farete exequire notando la summa che haverà montato la paga, della quale farete cautela al thesauriere per suo discarico, similmente si dà alla gente soldata ogni mese sua ration di pane et vino qual ancora vedrete quanto monta facendone cautella al thesauriere et per che siamo informati che si dà ratione ad alcuni mori et judei avertirete per qual effetto si dà detta ratione et parendovi esser mal empleata, la levarete.

« Item tutto quello che si dona alli soldati, in denari robbe et provisioni per conto di lor salario à d'essere con poliça sottascrita de vostra mano, fatta et registrata per il notaro. Et si accostuma ad alcuni soldati per subvenire a loro necessità anticipar lor salario di quatro mesi cossi lo farete continuare pur che non sieno homini di mala fama et da poco.

« Item essendo la bona guardia dil Castello como sapete più importante de tutto il resto, sarete molto vigilante sopra la guardia si fa di notte in la muraglia et di giorno in la porta, non perdonando a nessuno che mancasse, ordenando al capitano et tenente della porta

non la debbiano aprire che prima non sia sonata la campana, a cio quelli a chi toca la guardia possano venire alla porta et che in nessuna manera le doe porte cioè della marina et della terra non si aprino nè stieno aperte in un tempo.

« Item perche siamo informati che in la fortaleza intrano molti mori con lor armi si a cavallo como a pede per evitar ogni scandalo et inconveniente che potesse uccedere, volemo che non lassiate intrare nel Castello nulla sorte de turchi, mori, nè judei excetto si alcun venesse per negociar cose importante, qual lassarete intrare como accade alla giornata facendoli pero lassare le armi et cavalli alla porta.

« Item farete gitar bando che ogni uno habia de tenir soi schiavi ferrati in doi piedi et non comportarete che più di quaranta simili schiavi che sono necessarij per macinare et altri bisogni stieno in la fortaleza et questi quaranta potrano essere di quelli che ànno meso de rescattarsi; tutti gli altri farette che lor patroni li mandano o portano via per star più securi et fora d'ogni suspicione et per che semo informati che in la fortaleza sonno XII o XV schiavi turchi quali, come sapete, sono per loro astucia et valore molto periculosi, volemo che li faciate levar et portar tutti fora della fortaleza excetto quelli che forse haverano dato principio a lor rescato.

« Item a cio che li mori possino star con lor commoditate et negociar con li Christiani facendo lor mercato o sia çoco volemo che faciate rifare et restaurare detto çoco o mercato come lo fece fare et tenia el Comandator fra Gaspar Sangoessa, non permettendo che al fosso si facia più detto coco.

« Item accadendo che in detta fortaleza morisse alcuno senza testamento o senza herede ordinate che tutti li beni soi pervenghino in potere del thesoriere con intervento del Notaro al beneficio de nostra Religione.

« Item per che intendemo Cypro et alcune altre parte de levante sonno suspette di peste provederete pr adesso et per lo avenire sopra cio deputando persone idonee che vedano et sieno vigilanti sopra la sanità cum la diligentia si conviene che importa la salute non solamente della fortaleza ma di questa insula et Sicilia.

« Item como sapete è stato provisto in nostro Capitolo Generale

che li Governatori non facino mercantia excetto a nome de nostra Religione ; per questo vi dicemo che quando capitasse in la fortaleza alcun corsaro o altra persona cum mercantia et robbe che le debbiate comprar a nome della Religione, avertendo in li precii che si guadagni al manco fine a cinquanta per cento, più o manco como meglio parerà a voi, et si in mano del thesoriere non fusseno denari nostri ne lli mandarete pagar qui a noi, essendo contente tale persone da cui comprarete dette mercantie.

« Item ordenarete al secreto et credenciere della doana che de quatro in quatro mesi vi debiano dare li conti della doana cioè delli introiti et exiti et preso juramento da loro che detti conti sono justi et senza fraude et che hanno cercato l'utile della doana como si conviene mandarete qua alli signori del thesoro detti conti ogni quatro mesi.

« Item mandamo cum voi maestro Pichino nostro ingenieri et il maestro di far calsina cum il carbone. Farete che detto ingenieri reveda bene il Castello per saper darne qua relatione dicendo in quali termini sta et como si deverà reparare et che l'altro faci calçina et farete far il forno per detta calçina nel fosso del Castello in chel loco vi parra più al proposito et tanto in le cose sopra scritte como nel resto succederà alla jornata, provederete como in voi confidamo dando sempre aviso del seguito. ... Melite, die X mensis junii 1533 ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 415 (1531 - 34), fol. 246 v. et seg.).

IV

« Instructione a voi venerando gran Balio fra Georgio Scling de quanto haverete a fare in questo viagio per visitar, et soccorrere nostra fortaleza et Castello de Tripoli che Dio vi conduca a salvamento.

« ... Partirete cum nostro Galione accompagnato da questi cavalieri, quali mandamo per soccorso, et gionti al Castello farete la visita si delli soldati se sono ben in ordine et sufficienti come delle munitione conforme a vostra preminentia secundo se accostumava al Castello de Sancto Petro, scrivendo particularmente ogni cosa per farcene poi bona et sufficiente relatione.

« Item, per stare el Castello in periculo, respetto a Barba Rossa, qual al nome et cum l'armata del Gran Turco se è fatto signor de' Tunes et di quelle parte de Barbaria, parendovi conveniente et bisogno secundo le nove trovarete cum el parère del Govrnatore, restarete per soccorso nel Castello cum l'auttorità jurisditione et superiorità tanto sopra detti Cavalieri come sopra li soldati, et in tutte le cose concernente la guerra de manera che siate obedito et reverito como se fusse la persona nostra dicemo del Maestro che cossi lo commandamo et volemo confidandone in la defensione del Castello et in tutto il resto farete come di voi si spera.

« Item, restando a Tripoli cum l'aviso del Governatore, provederete de uno maestro d'ostal per tenire l'albergio et fare la spesa ordenando al thesoriere che lo proveda de vittuaglie et de quanto serà bisogno, ma che si vadi moderatamente et tenghi bon conto accomodandosi al loco et tempo et secundo la necessità.

« Item, trovando le cose in tal dispositione che non fusse bisogno restare, cioè quando non se dubitasse de Barba rossa nè di Caradino Re di Tajora, potrete ritornare cum detti cavalieri o parte d'epsi lassandone alcuni secundo cum l'aviso del governatore vi parerà meglio et più expediente.

« Item, restando scrivirete particularmente in qual dispositione havete trovato el Castello ben o mal provisto cum le nove se haverano in quelle parte, avisandone di quello haverete bisogno et in questo mezo sopra tutto attenderete che si facino bone guardie provedendo al resto come la importantia del caso ricerca et sopra voi ne riposamo.

... Melite, die XXII decembris 1534 ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 416, fol. 190).

V

« Instructione a Voi Commendator fra Antonio de Binero de quanto haverete a fare in questo soccorso de Tripoli che Dio vi conduca a salvamento.

« Et primo

« Per essere la fortaleza et Castello nostro de Tripoli di tanta

importantia come sapete non solamente a nostra Religione ma a tutta la Christianità et in particulare adesso di suoa Cesarea Maestà per le cose di Barbaria, havendo nova come Barbarossa era uscito del streto de Constantinopoli per Comandamento del gran Turco cum XL galere ben in ordine ultra XVIII o XX fuste cum scale piconi et sappe, confidandone in la prudentia et valor vostro et dubitando che detto Barbarossa secondo già se parlava in levante non andasse per dar un salto al detto Castello o assediarlo, vi havemo electo et deputato per Capitano de soccorso con XXV Cavalieri et alcuni soldati, et a questo effetto per non tardare mandamo le gallere et in compagnia el Navilio per voi noleggiato con alcune vittuaglie et legna volendo et intendendo che ditti Cavalieri et soldati vi habiano de reverire et obedire come le persone nostre et facendo el contrario, che li possiate castigare o pur mandarli qua conforme alli usi et stabilimenti de nostra Religione.

« Pero partirete al nome di Dio et gionto al Castelio farete intendere al Reverendo gran baylio Governatore la cagione de vostra andata et consultate insieme le cose occurrente, serete vigilante et vi sforzarete dal canto vostro col vostro soccorso de far tutte quelle cose vi parerano et trovarete essere necessarie et al proposito per la bona guardia et defensione de detta fortaleza, offensione de gli inimici et favore de nostri amici là propinqui, accomodandovi cum detto gran bailio et altri di manera che siate sempre in bona unione.

« Item, pigliarete dal thesauriere tutte quelle vituaglie et altre cose che serano bisogno per le tavole de Cavalieri et li provederete de mangiare et bevere, spendendo più moderatamente vi serà possibile et cum quella restrintione et cautella si conviene et si suol fare in le fortaleze quando si dubita de assedio, provedendo al tutto como di voi confidamo cum dar al continuo aviso di quello occurrerà alla giornata a tal che bisognando vi possiamo provedere et che sapiamo li progressi et ben star vostro et della fortaleza.

... Datum Melite etc. die VI mensis Augusti MDXXXVI ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. **416**, fol. 205).

VI

« Instructione et ricordo a voi Religiosi in Christo a noi charissimi fra... de Belengniere et Petro Felizes di quello haverite a fare in questo viagio per darle et lassarle poi a monsignor Reverendissimo nostro Maestro.

« Et primo

« Partirete cum el bergantino et de Palamos o Barçalona secundo li tempi et che meglio vi parerà andarete in diligentia alla volta de Caspe dove gionti darete nostre lettere et la bulla de sua electione a sua Reverendissima signoria besandoli la mano cum la debita obedientia da parte nostra.

« Item la informarete di successi di queste parte como laudato Dio stamo bene, suo convento unito, et in pace non tropo mal provisto de vituaglie et d'altre cose, et cossi medemo sua fortaleza et Castello de Tripoli dove fano pochi giorni che li nostri, essendo ite le galere per tal effecto, presero la Torre del Re de Zanzor (sic) et quelle altre terre ultra le tre galeote cum la presa del navilio de mori come sapete et che non si manca de ogni banda maxime cum le galere fare al convento bonissime opere contra infideli.

. . . .

. . . .

... Datum Melite etc., die III mensis novembris MDXXXVI ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 416, fol. 205 seg,).

VII

« Instruciones a vos vendo religioso et fray Jorge Schiling gran baylio de Alemanja y capitan de nuestras galeras de lo que aveys de hazer eneste viaje que partis para Tripol que nuestro señor Dios os lleve y trayga a salvamento.

« Et primo

« Con el primer buen tiempo partireys en el nombre de Dios deste nuestro puerto de Malta con nuestras quatro galeras para la vuelta de

Tripol con toda la diligencia que fuere possibile porque ay mucha necessidad de vuestra llegada porque como sabeys es llegado en Tajora un renegado llamado Morataga el qual con el favor de Barbaroxa procura por todas las vias y modos que puede damnificar el castillo y cibdad que seria no poco danno nuestro y de la Christianidad; por tanto por que las cosas maduramente pensadas suelen tener buenos fines, con consulta del religioso nuestro fray Hernando de Bracamonte y de los patrones de nuestras galeras y de otros cavalleros de la Religion que a vos paresciere procurareys de expeler al dicho Morataga que no pueda effettuar su dannado proposito buscando todas a quellas vias y modos que con el parescer de todos los sobredichos vieredes ser mas convinientes.

« Item, por quanto el dicho Morataga haziendo algun danno en la cibdad o apoderandose della, redundaria no enpoco danno al castillo por la vezindad que con el tiene, vos dezimos que si os paresciere ser necessario fortalecerla y repararla, sacareys de las galeras gente para ello, poniendo en ello toda buena orden y guardia por que a causa dela gran cantidad desclavos que llevays y de los enemigos, nuestras galeras y vos otros no seays damnificados.

« Item por que mandamos municiones de polvora y salmitre y sacres dexareys lo todo ally por que nos a parescido ser necessario para mayor fortificacion del dicho castillo.

« Item, por quanto ultra de los soldados de las galeras llevays otros dexar los eys ala plaça del dicho castillo si vieredes que son todos necessarios, y si todos no fueren necessarios restaran a quellos que a vos y al governador parescieràn trayendo los demas en las dichas galeras. Mas si las cosas estuvieren en tal estado que paresciera no ser bastandes los dichos soldados, sacareys de las galeras los que os parescieran con tal que las galeras no queden desarmadas.

« Item, dexareys dos lombarderos que llevays para el dicho castillo. y, si fuere menester mas tomareys los de las galeras, mirando siempre que lo uno y lo otro quede proveydo.

« Item, por no ser tan ciertos como al presente estan las cosas del castillo, y de loque podria succeder despues de vuestra llegada

no determinamos el tiempo que ally estareys salvo lo dexamos a vuestra buena discrecion y prudencia para que lo mesureys justa la necessidad y tiempo y lugar que vieredes necessario confiando de vuestra continua diligencia y vigilancia que en todas las cosas siempre aveys tenido y teneys.

« Item, todas las cosas suso dichas complidas como sea dicho quando vieredes ser tienpo conviniente de venir os podreys venir por Secaños por si toparedes algun navio o fusta de infideles para venir con alguna ganancia en lo qual todo os governareys como os aveys governado y como per experiencia lo avemos siempre conoscido, y como de vos sespera.

« Item, con gran studio y diligencia procurareys con todos quantos son en las dichas galeras que ayan siempre de honrrar el nombre de Dios y de su bendita madre y de todos los santos trabajando y apartando toda blasfemia y todo mal.

« Item, comendamos a todos los cavalleros que ayan de tener y observar la obidiencia y hazer onrra a vos y a todos los patrones.

« Item, sobre toda cosa estareys atento haziendo hazer buena guardia en las dichas galeras como de vos sespera por que por negligencia no os acontesca algun escandalo, en las galeras especial que como vos sabeys llevays buena cantidad de esclavos turcos.

« Item por quanto jsxta la forma de los establimentos a la dignidad y preheminentia de gran baylio de Alemaña conviene visitar el castillo de san Pedro, estando la religion en Rhodas, por tanto vos dezimos por la razon suso dicha que conforme a vuestra preheminencia visiteys y reformeys el dicho Castillo y fortaleza de Tripol juxta la forma y tenor de los establimentos y costumbres de nuestra Religion... Melite, die nona mensis decembris 1542 ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 418, fol. 283 v.).

VIII

« Instructiones a vos venerando Religioso etc. fra georgio Schiling gran baylio de Alemanja y capitan de nuestras galeras de lo que

aveys de hazer en este viaje que partis para Tripol que nuestro señor Dios os lleve y trayga a salvamento.

« Et primo

« Como ya sereys informado a complimjento por otras instructiones nuestras que llevays de nueve de diziembre del año passado de lo que se avia de hazer en este dicho viaje ansi cerca del fortalescer el dicho castillo y cibdad como de otras cosas que vos parescieron entonces necessarias. Por tanto por agora no nos paresce tornar las areplicar salvo referirnos a ellas, queriendo que hagays segun el tenor y forma dellas, con annedir los capitulos infrascriptos.

« A nos parescido sera bien que antres que vays a Tripol os passeys por los Secaños y ally podreys sperar algun navio de ynfideles que segun somos informandos se speran cadadia de alexandria. .... con talque no ayayis de retardar mas de hasta quinze o veynte dias por que no se pierda vuestro viaye tam necessario annydiendo que si os paresciere que sera bien no esperar tanto lo remitimos a vuestra buena discrecion para que segun la necessidad occurriere lo hagays y como mas al servicio y utilidad dela Religion y del castillo conviniere.

« Item, por que segun emos sabido por letras del governador que de un castillo que esta cerca del castillo podria padescer no poco danno y detrimento el castillo si los enemigos lo tomassen, y estando fortalescido mucho provecho, por esto vos dezimos que seyendo tan necessario vos con el governador dareys orden que se repare el dicho Castillejo lo mejor que ser pudiere.

« Item dexareys a la plaça del dicho castillo los soldalos que llevays pareseiendo ser todos necessarios y si todos no fueren necessarios restaran a quellos que a vos y al governador paresciere, trayendo los otros en la dichas galeras. y en lo demas como emos dicho nos referimos a las instructiones arriba dichas, para que os governeys por ellas y a lo que con vos emos platicado y en todo a vuestra buena diligentia saber y prudentia lo remitimos que lo hagays como de vos sespera por que en vos nos descargamos. In cujus rei etc... Melite, die VII mensis aprilis MDXLIII ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 418 (1541 - 43), fol. 285).

IX

« Instructione a voi religioso in Christo a noi charissimo fratri Francesco Becutis patrono de nostra galera Santo Joanni di quello ch'haverete a fare in questo viagio de Tripoli che Dio vi conduca et reduca a salvamento.

« Et primo

« Partirete con la maggior diligenza che vi sia possibille et andarete alla volta de Tripoli a golfo lanciato senza tocari li Sechagni ne altro luoco, se il tempo non vi sforzase et gionto sarete in Tripoli darete nostre lettere al thesorero de ditto castello et a fra Bernardino Morosio ali quali scrivemo che tutti li denari, oro argento et altre joye che del formento sarano riscotuti si donino et consigneno contati et numerati et sigillati al ditto nostro fra Bernardino Morosio che per questo effecto sta in Tripoli che li porta in qua et se per caso detto fra Bernardino non potrà venire ve li donino contati et numerati come di sopra è ditto a voi li quali portarete securi et a bon recapito.

« Item, per che nostra intencione è che detta galera cossi a la andata come a la tornata vada expedita per alcuno pericolo che potrebbe succedere, non consentirete che si carrica alcune robbe nè mercantie nè altre cose che donino impedimento, ne mano ala retornata se porte niuno negro ni sclavo de particulari per che altramente serano perduti et confiscati ala signoria. Benchè se si trovano alcuni schiavi de la signoria in Tripoli, ne levarete in fino a quindeci et non più, et in tuto vi governarete comme di voi si spera procurando di essere presto et con diligentia qua in Malta per la necessità che si ha delle galere et como da voi spettamo... Datum Melite, etc., die quarta mensis junii MDXXXXV ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 419, fol. 49).

« Instructiones a vos religioso etc. fray Hernando de Bracamonte commendator de Ruviales y capitan de nuestras galeras de lo que aveys de hazer en este viaje que partis para Berveria que nuestro señor Dios os lleve y trayga a salvamento.

« Por que la causa principal por que os embiamos es por si podreys tomar la galeota de Morataga la qual segun somos informados la quiere embiar alevante por ciertos designos que tiene contra el nuestro castillo de Tripol, por tanto en el nombre de Dios os partireys con diligentia con nuestras quatro galeras. y para effectuar lo suso dicho guardareys el orden infrascripto.

« Que partidos de a qui procurareys tomar tierra en la costa de Berberia de noche de lante de Tajora dexando dos galeras a XXV o XXX millas en mar en jolito, y las otras dos yran a tomar la posta ala xar dexando el vergantin de Brandano a doze o quinze millas segun paresciera alos officiales en cima de Ta ora el qual vergantin podra estar en jolito tada la noche hasta la mañana, y siendo de dia tomara su camino hazia Tripol y si la galeota saliere tomara la buelta de mar acercandose a las galeras, y las dos galeras que daran en la xar procuraran de tomarle la tierra que no pueda tornar a Tajora y entonces todas quatro seguirla. Mas si la galeota no saliese el vergantin seguira su camino a Tripol lo mas secreto que sea possible y echara un hombre en tierra qual os paresciere informandose si la galeota esta en Tajora, o no. y sabiendo que no es partida dicho vergantin de dia tomara la buelta de las galeras por que podria ser que en esta segunda buelta la galeota saliesse, mas si caso fuesse la galeota partida de Tajora dicho hombre se informe quantos dias a que sea partido, y dicho vergantin vaya a las galeras por dalles la nueva, y en tal caso las dos de dichas galeras yrsean costa a costa hasta el cabo de Mesurata, y las otras dos por mar lexos ocho millas hasta el dicho cabo, y si en el camino hallase des algunos navies de infieles putiendo los tomar los tomareys, o veramente a quellos que dexastes la otra buelta.

« Item, por que nuestra intencion es que en el dicho camino no tardeys mas de quinze dias, si llegados al cabo de Mesurata y perdida la esperanza de tomar dicha galeota sobrassen algunos dias de los quinze, podreys yr la buelta de los Secaños, y de ally alos Gelbes por si hallasedes algun navio de ynfieles, hasta complir el dicho tiempo, y lo mesmo hareys si la galeota estando en Tajora, y ala yta ny ala tornada saliese que nos sera necessario yr al cabo de Mesurata, mas yreys derechos alos Secaños, y de ally alos Gelbes hasta aver gastado el tiempo de los quinze dias, los quales complidos tomareys la buelta

de Malta con toda diligencia... Datum Melite etc., die XIIII mensis Julii MDXXXXVI) ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 420, fol. 210 v.).

XI

Nel 1548 in previsione del progettato trasferimento dell'Ordine a Tripoli veniva stabilito in un « Capitolo Generale » il seguente ordinamento, che dà notizie interessanti sul governo della città :

« Ordinationi sopra Tripoli.

« Et primo.

« Attento che in tutti li rolli si è supplicato che la Religione si transferisca in Tripoli hano ordinato che in questo primo anno si mandino in detto luogo cinquanta cavallieri, e tun governatore, qual sia baglio, accio sia obedito in detto Castello, come monsignor Reverendissimo qui in Malta, tenando alli detti cavallieri albergia, secondo fanno li piglieri qui in Malta, et facendosi questo bastaria di tenere solum ducento sessanta soldati in circa al soldo del Castello, come appare particularmente per una lista, et che li Reverendi Signori procuratori del comun thesoro tengano il detto luogo sempre ben provisto de vittoaglie, accio che complito che sia l'anno si comprenda facilmente se in la seguente annata si potrano mandare et accrescer fino al numero de cento cavallieri, e tconsequtivamente de anno in anno, mandarne di più cinquanta fino che tutta la Religione fusse in detto luoco, et vedendosi che non si potrano trattenere in detto luoco nel primo anno li cinquanta cavallieri, o nel secondo anno li cento, et in lo terzo, li cento cinquanta, si vederia chiaramente che tutta la Religione nel prefatto luco non si potria sustentare.

« Item che il portaro del detto Castello sia religioso dando ricompensa a Joanico Alfers al presente portaro in qualche altra parte, il quale per esser già vecchio, et non veder quasi più, non puo supportare il travaglio necessario al detto officio.

« Item che mandandosi nel detto loco de Tripoli Cavallieri de armamento, li loro servitori non habbiano da tirare soldo alcuno, nè manco li servitori de alcuni altri cavallieri che vano col governatore

et thesoriero reservando solum quatro servitori il soldo, per doi del Governatore, l'altro del capitanio delli cavalli, et l'altro del thesoriero, con questo che siano sufficienti.

« Item che quelli che hanno officii in la doana tanto per essi come per altri non habbiano soldo nessuno dal castello poi che l'hanno dalla detta duana.

« Item che, andando alcuni ad habitare in detto castello per fare suoi negocii particulari, o per riscatare alcuni lor parenti, over in detto luoco mandati dalla giusticia, non debbiano aver soldo nessuno, attento che con il soldo o senza hanno da stare in detto loco.

« Item per quanto in detto castello vi sono quatro capellani che tirano soldo de soldato, comandamo che li tre di essi siano del'habito, cioè li doi de caravana, et uno sia vicario, sensa soldo che habbia continuamenti residere là, li quali pigliarano li trentanarii delli frati che ibi morirano, et l'altro potrà esser seculare.

« Item che nessuno in detto castello, tanto dentro come di fuora, non possi vendere formento o biscotto, eccepto la signoria, et venendo alcun corsaro, over mercante, che ne portasse per venderne il governatore et il thesorero lo comprino a nome del thesoro, a precio honesto con questo che la signoria habbi poi alcun utile.

« Item che venendo alcun corsaro con alcuna presa et portando alcune robbe, nelle quali la signoria potesse haver alcun guadagno comprandole, il detto governatore et thesoriero le comprino a conto del thesoro, et havendo alcun altra persona fatto partito con alcuno de detti corsarii per avanti la Religione sia preferita precio per precio.

« Item si havisa che si la signoria tenesse il forno de detto castello, mettendo un buon fornaro, et schiavi necessarii, con doi molini da mulla o da cavallo over da camello per far farina, et si ordinasse che nessuno facesse pane eccepto per uso di sua casa, solum la signoria, che forniria chi ne avesse di bisogno si avvansaria per anno trecento salme di formento più presto de più che di manco, et seria causa che molta gente inutile che sta in detto castello che non serve ecceto di fare pane et venderlo se ne partiria et cosi restara il loco più alleggerito de persone inutili.

« Item che le dispuglie delli frati che ibi morirano siano distributte fra li frati della lingua dovi sarano li morti, li quali frati non possano pretendere alcuna despoglia de quelli che morirano in Malta.

« Item attento che in la citta di Tripoli vi habitano molti mori con loro moglie et figlioli, li quali comprano quasi tutto quello che gli è necessario per il loro vivere dal castello, se potrà ordinare fuor del detto castello uno magazeno, o ver taverna, nel quali si vendi pane vino oglio formaggio legume, mele, et moltre (sic) altre cose minute che si vendono in detto loco, tutto al conto del thesoro, et che nessuno fuora di esse castello possi vendere alcuna vittoaglia, eccetto in ditto loco deputato, che saria oltra il guadagno siguiria alla Religione, evitare che tanti mori non entrino nel prefatto castello.

« Item che la thesoreria sia tenuta provista de tutte le cose che si pono vendere in esso castello grosse e menute, et che il governatore, capitanio et thesoriero nè altra persona non possi vendere robba alcuna sopra soldo a soldati eccepto le robbe del thesoro et se alcuno contra farà non gli sia fatto buono, immo il thesoriero, l'habbia a satisfare de altra tanta robba del thesoro cargando al tale soldato ie precio sopra suo soldo, se pure havrà de havere.

« Item accadendo che alcun soldato tenente o altro officiale havesse de andare in casa sua o in altra parte con licencia del governatore per alcun tempo che al tale non li corra il soldo nè ratione del tempo che starà fuora.

« Item che non siano alla ratione de cavalli più de vinti mori et alla ratione de pedoni, non vi siano più di quaranta mori.

« Item che non s tenga al soldo et ratione più de vinticinque negri franchi et cada passaggio si faccia la visita, et quelli che sarano de più delli vinticinque il governatore li faccia imbarcare ritenendo li migliori per servicio della fabrica.

« Item che de tutte le prese et guadagni che farano le barche, fragati, bergantini o altri vasselli de Tripoli si habbia a pagar l'armiragliato al thesoro, et il simile tutti li altri corsari forastieri che facesseno bottino in Tripoli, eccetto quelli che havessero armato in Malta sotto la bandiera della Religione con licentia de Monsignor reverendissimo tal armiragliato sia reservato ala signoria reverendissima».

(Archivio di Malta, Capitula Generalia, vol. 287 (1543 - 1548), fol. 65 v. e seg.).

XII

« Instructione a voi venerando religioso fra Claudio de la Sengla hospitalier di nostra Religione et capitaneo de nostri galere di quello havete da fare in questo viaggio che Dio vi conduca e torni a salvamento.

« Et primo.

« Havendoci scrito la maestà Cattolica esser sua deliberatione ch'el illustrissimo principe Doria capitan generale di sua magiestà per mare con le galere di Spagna et de Italia andasse per due bande per buscar Dargut rayz et che nostre galere si giontasero con quelle, noi vedendo la cosa esser in servicio de Dio et di sua magiestà et de tutta la christianità con bona volontà havemo deliberato di mandarli non volendo mancar a simile impressa come è debito et costume nostro.

« Partirete adunque nel nome de Dio et andarete alla volta de Messina et gionto che sarete pigliarete l'altre due galere che sono li, li qualli credemo che alla gionta vostra sarano acconciate.

« Item, sapendo voi la voluntà nostra, vi ordinamo che debbiate andare con detto illustrissimo principe con detta armata et far quello che per sua excellencia sarà ordinato fin al suo ritorno in Messina o in altro luoco et ch'habbiate havuto licentia da lui.

« Item come sapete il negocio di Taiora è di tanta importanza che si non vi si remedia col tempo sara imposibile cacciar quel rinegato Moratagа de li per farsi ogni giorno più potente, per tanto non lasciarete di praticar il negocio con la excellencia del detto Signor vicerè comme anchora col illustrissimo principe con farle conoscere la utilità che di questo ne seguirà et ancho il danno che se aspetano si non si provede per tempo come voi del tutto sette benissimo informato.

« Item benchè non sappiamo del certo se l'armata ha da venire in Palermo o pur a Messina non di men oper che è necessario che le dette galere pigliano panatica andarete alla volta di Palermo dove vi fornirete de panatica et altre vituaglie necessarie.

« Item gionto in Palermo vi potrete informare dove l'armata se aspeterà, o in Palermo, o in Messina et secondo intenderete, potrete andare aspectare et se non havesse da venire in detti lochi la potrete andar a cercare dove si trovarà se detto Signor principe havesse lasciato tal ordine, et non havendo lasciato farete quello che meglio vi ne parerà circa di andarlo a trovar, o aspectar.

« Item gionto, con detta armata andarete a visitar l'illustrissimo principe capitaneo general di sua magiestà et farete nostre recomendatione a sua excelentia dicendole con quanta voluntà vi habbiamo expedito, per andar in questo viaggio, per servicio di sua magiestà Cattolica offrendovi promtissimo in tutto quello che sua excellencia vi comandarà.

« Item per che nostra voluntà e che dette galere nostre vadino bene armate non lasciarete de pigliar per ogni galera dieci soldati che siano ben disposti et persone che possano ben servire.

« Item fornite le dette cose vi potrete tornare qui in Malta con ogni diligenza rimettendo tutto quello che de più succederà in vostra prudenza e discrecione che provedete et vi governate in tutte le occorrenze secondo il tempo et loco pigliando sempre consiglio dalli patroni et cavaglieri anciani et de altri officiali a voi benvisti, per che in voi confidamo... Datum Melite etc., die XXII mensis martij MDXLIX ab Incarnatione (1550)».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 422, fol. 208 v. e seg.).

XIII

« Instructione a voi venerando religioso etc., fra Gaspar de Vallies commendatore de Prillar (?) et de Salins del priorato de Alvernia et manescallo di nostra eligione, di quanto havrete a far circa il governo del castello et cità de Tripoli che Dio vi conduca et incammini in tutte le occorrenze et actioni vostre.

« Et primo.

« Essendo voi per la sufficientia et capacità vostra stato eletto et deputato governatore di Tripoli mandiamo nostre galere per condurvi al detto loco ove gionto che sarete darete le lettere et provisioni

nostre al venerando religioso nostro fra Pietro Nuñez de Herrera baglio de la Boneda al quale comandiamo che vi faccia dar a nome nostro et di nostra Religione obedienza sacramento et homagio di tutti gli officiali et gente soldati et mori del detto castello con tutte le solennità et ceremonie acostumate rimettendovi il governo e consignandovi le chiave della fortaleza.

« Item intrato che sarette nella possessione del governo farete far al solito la mostra et resigna generale di tutta la gente che sta al soldo ricognoscendo le arme et piglando lo giuramento di ben et fidelmente servire advertendo che le arme che portano nella mostra siano sue et se alcuno non ne havesse li constringerete a comprarle.

« Item per che circa il governo del castello sono molte ordinationi antiche et moderne et boni costumi quelle ben vederete et considerarete et conforme ad esse vi regerete, et se alcuna cosa de importanza vi parerà inovare darete prima aviso a noi et a nostro venerando consiglio a cio che in quelle vi sia dato ordine.

« Item per che supra tutte le cose si ha da guardar il servitio divino, procurarete che nel detto luoco si guardino li giorni delle domeniche et feste comandate per la santa matre Chesia cosi nel contratar delle mercantie come nelle opere servili, ponendo la pena a voi benevista contra quelli che farano il contrario.

« Item vi ordinamo che con tutto il rigor facciate punir et castigar li dissoluti et vitiosi et bestemiatori et non permetterete che giochino alli dati se non alle tavole, o alle carte al luoco deputato, et non in parte secrete, prohibendo che in modo alcuno non si giochino l'arme et cavagli et se alcuno temerariamente le giocasse li farete castigar ad arbitrio vostro et tali arme et cavagli seranno restituire a quello che l'haverà perse.

« Item, essendo la buona guardia del castello cità et castellego più importante che il resto, sarete molto vigilante sopra la guardia che si fa di note nella muraglia et di giorno nella porta, non perdonando a nessuna che manchase, advertendo che le due porte del castello cioè quella della terra et quella della marina non siano insieme aperte.

« Item vi ordinamo che siate attento che li mori entrino nel cas-

tello il mancho che si potrà, et per che siamo informati che gli mori habitanti nella cità sono costreti de intrar al detto castello per comprar cose necessarie al loro vivere cotidiano, ordinarete che de tal cose se ne venda fuora del castello accio che li mori non habbiano causa di intrar dentro advertendo che in questo la doana non sia in alcun modo defraudata et che il castello non resta per questo disprovisto.

« Item ordinarete che alli mori che vengono al çoco non gli sia fatto maltratamento venendo nè tornando, non consentedo che gli sia tolto per forza cosa alcuna commandando che nessuno soldato vada fuora del castello al çoco o ad altra parte senza archibuso o lanza o balestra et quello che sara ginete non habbia andar più lontano del fosso senza il suo cavaglio inselato et infrenato con sue arme accio che non habbia occasione de intrar dentro per cavalcar se per caso si toccasse in quello instante all'arma.

« Item vi ordinamo et incarghiamo che procurate di levar l'ocasione de tante scaramuccie nelle quali non si guadagna altro che perdita de gineti buoni soldati et munitioni.

« Item accadendo che moresse alcun soldato senza herede ordinarete che li suoi beni per inventario siano posti in poter del nostro thesoriero fin che sia provisto de giustitia a cui pertineranno.

« Item de tutte le altre cose ardue et de importanza che potranno succedere ci darete aviso a noi et a nostro venerando consiglio.

... Datum Melite etc., die XXVIII mensis aprilis MDLI (1551) ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 422, fol. 220 (v.).

XIV

« Instructione per il Venerando religioso fra Gaspar de Vallies manescallo di nostra Religione et governator di Tripoli como si ha da governar sopra gli infrascripti negocii.

« Et primo.

« Havendo havuto notitia per diverse sie specialmente dal religiosc nostro fra Georgio di Santo Joanne il quale è arrivato qui hoggi,

come l'armata turchesca è uscita fuori et che si tiene per certissimo quella esser per Malta, o per il castello di Tripoli, per questo volendo provedere di presidio et aiuto per la fortificatione di detto castello, habbiamo ordinato che il religioso nostro fra Guillelmo Coupier, commendatore de Tortobesa con alcun numer di cavaglieri et il magnifico Giovan Calabresi con sua compagnia de soldati venghino costi in Tripoli per tal effecto, con li quali volemo che siano observate le cose infrascripte.

« II. Item che il detto fra Guilelmo Coupier in presentia vostra si chiame vostro locotenente cioe locotenente di governatore ma in absencia vostra cioè se piacesse a Dio ordinare altro di vostra persona che allora resti in loco di governator et se il medessimo havenesse della persona di esso Coupier resti il religioso nostro fra Bartolomeo Vasco, et cosi per ordine se intende degli altri anciani.

« III. Item volemo che il detto fra Guillelmo Coupier et gli altri cavaglieri siano alla obedienza vostra alli quali farete sue tavole a conto di nostra Religione.

« III. Item si dette cavagliere haverano bisogno di qualche panno o tela per vestire li farete accomodar dal thesoriero, sopra loro soldo a quello vi parerà necessario.

« V. Item quanto al detto magnifico capitaneo et soldati vogliamo che siano alla obedienza vostra et havendo alcuna discordia fra loro in cosa de giusticia habbiano ricorso a voi.

« VI. Item. A petitione di detto capitaneo et soldati gli havemo concesso gli infrascripti capituli. et primo :

« VII. che detta compagnia de soldati sia in piede con li proprii medesimi officiali che in essa compagnia si trovino et ch'el detto magnifico Giovan capitaneo habbia ogni vigore et auctorità et potestà che ad un capitaneo de fanteria si richiede, et che detta sua auctoritate non gli sia punto diminuita.

« VIII. Item che la paga che si farà alli detti soldati sia cosi et tanta come è quella di sua magestà Cattolica cioè paga di guerra, et non paga di guarnitione et secundo l'uso di guerra cioè in ciascun XXIX giorni mentre serano in detta fortalezza de Tripoli, incominciando dal giorno che sarà finita l'altra paga che glie donata in Sicilia.

« VIII. Item che a proprie spese della Religione debbiano far condure detti soldati alla detta fortaleza de Tripoli et di poi tornarli in la cità di Messina senza scontar cosa alcuna tanto del mangiar et del bevere quanto del passaggio.

« X. Item che passato il mese de Setembre proximo futuro non havendo l'armata turchesca assediato detto castello debbiano far ritornar detti soldati fin a Messina a spese di nostra Religione senza ritener alcuno per guarnicione di detto castello sino quelli che di loro spontanea volontà volessero restar.

« VI. Itme che detti soldati sian provisti delle cose necessarie per il viver loro come di pane vino et altre cose comestibile per il medemo precio che si dona agli altri soldati in Tripoli.

« XII. Item che guadagnando detti soldati schiavi o schiave et altre cose de infideli siano di essi soldati et non de altri, et che huomo alcuno di nostra Religione non se li possi levare.

« XIII. Item, accadendo che alcuni de detti soldati fossero feriti in servicio di detto castello volemo che siano curati et medicati et datoli le medicine a spese di nostra Religione senza scontar cosa alcuna sopra il soldo loro.

« XIII. Item che siano provisti per il tempo che starano nel detto castello di polvere piombo et micci a spesa di nostra Religione di quello che parerà necessario.

« XV. Item per quanto mandiamo due galere aposta per levar detti soldati esse galere sbarcati che sarano detti soldati subito si retornarano portando seco quella quantita de done et garzoni che vi parerano.

In cuius etc... Datum Melite etc. die sexta mensis Julij MDLI ».

(Archivio di Malta, Libri Bullarum, vol. 422, fol. 223 v.).

المصادر

1 — Prud De Sandoval, Vida y echos del emperador Carlos Quinto, Pamplona 1634.

2 — F. Braudel, Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577, Revue Africaine 1928.

3 — Don Martin De Los Heros, Coleccion de Documentos Inéditos para la Historia de Espana.

4 — M. Longhena, L'impresa di Tripoli nel 1510 in (Rivista d'Africa) Gennaio - Febbraio 1912.

5 — E. Rossi, Il Dominio dei Cavalieri di Malta a Tripoli in (Archidum Melitense) VI Malta 1924.

6 — Marin Sanudo Diarii.

7 — C. Manfroni, Tripoli nella storia Marinara d'Italia, Padova 1912.

8 — C. Manfroni, L'Italia nelle vicende marinare della Tripolitania, Intra Airoldi 1935.

9 — S. Aurigemma, Le Fortificazioni di Tripoli (Mot. Arch. Ministero Colonie).

10 — S. Aurigemma, Il Castello di Tripoli di Barberia in (Rinascita della Tripolitania) Roma 1926.

11 — G. Pantanelli, Tripoli in un Documento bolognese del secolo XVI, Bologna 1912.

12 — Peralli, La guerra di Tripoli del 1511 in un diario orvietano dell'epoca in (Bibliófilia) XIV.

13 — De Mas Latre, Traités.

14 — G. La Mantia, La Secresia o Dogana di Tripoli (Archivio Storico Siciliano XLI 1916).

15 — G. Londo, La Sicilia e Tripoli, Catania 1912.

16 — Bosio, Istoria della S, Religione Gerosolimitana III.

17 — M. Rava, 1 Cavalieri di Malta a Tripoli in (L'Oltremare) Guigno 1929.

المصادر العربية

1 ـ رحلة العباسي .
2 ـ التذكار لابن غلبون .
3 ـ المنهل العذب ، للنائب .

الفهرس

لسنا في حاجة إلى التأكيد بأن كثيراً من الباحثين والدارسين الأجانب قد صرفوا الوقت، وبذلوا الجهد في تقصي التاريخ الليبي، ومتابعة أحداثه، وإلقاء الأضواء عليه، وقد عرفت المكتبة التاريخية ألواناً مختلفةً من الدراسات التي تناولت التاريخ الليبي منذ أقدم عهوده حتى عصرنا الحديث، بالدراسة والتحليل.

ومن الفترات التي ما تزال غامضة في أذهاننا، غير واضحة لدى كثير من المؤرخين العرب القدماء، فترة الاحتلال الأسباني وقيام نظام فرسان مالطا، رغم ما لهذه الفترة من أهمية بارزة باعتبارها المنطلق الذي انطلقت منه فيما بعد مساهمة البحرية الليبية في أحداث البحر الأبيض المتوسط والدفاع عن الوجود الإسلامي فيــــه.

والكتاب على صغر حجمه يعتبر من أهم المراجع عن هذه الفترة وهو يساهم مساهمة كبيرة في إلقاء الضوء على هذه الحقبة التاريخية المجهولة، ويضعها في إطارها الصحيح من أحداث القرن الخامس عشر والسادس عشر التي كانت تجري في البحر الأبيض المتوسط والصراع بين القوى الإسلامية التي كانت تمثلها في تلك الفترة الأمبراطورية العثمانية، والقوى المسيحية التي كانت تمثلها في ذلك العهد أسبانيا والدويلات المسيحية والبابوية وفرسان القديس يوحنا.

الثمن
1000 درهم داخل الجماهيرية

